الفيصل

الفيصل - السنة ٣٦ - رجب - شعبان ١٤٣٢هـ/ يونيو - يوليو ٢٠١١م

٤٢٢/٤٢١

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

تتقدم مؤسسة الملك فيصل الخيرية

بخالص التعازي

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبد الله بن عبد العزيز

وإلى صاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبد العزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي

في وفاة صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز آل سعود

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام

إنا لله وإنا إليه راجعون

تتقدم دار الفيصل الثقافية

بخالص التعازي

إلى خادم الحرمين الشريفين

الملك عبدالله بن عبدالعزيز

وإلى صاحب السمو الملكي

الأمير نايف بن عبدالعزيز

النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الداخلية

وإلى الأسرة المالكة الكريمة وإلى الشعب السعودي

في وفاة صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

ولي العهد نائب رئيس مجلس الوزراء وزير الدفاع والطيران المفتش العام

إنا لله وإنا إليه راجعون

توفي إلى رحمة الله تعالى يوم السبت ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٤٣٢هـ/ ٢٢ أكتوبر ٢٠١١م، صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود - ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام - خارج المملكة على إثر مرض عاناه رحمه الله، وصُلِّي عليه بعد صلاة عصر يوم الثلاثاء ٢٧ من ذي القعدة سنة ١٤٣٢هـ في مسجد الإمام تركي بن عبدالله بمدينة الرياض.

وقد قدّم سموه -رحمه الله- عطاءً ثراً على امتداد سني حياته، وكانت مسيرته حافلةً منذ أن دخل معترك الحياة العامة وهو لا يزال صبياً في عهد والده الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه، ولن ينقضي هذا العطاء بوفاته؛ لما تركه من أعمال إنسانية تؤتي ثمارها كلّ حين في استلهام واعٍ من سموه -رحمه الله- لفكرة الوقف.

ولا يمكن الإحاطة بعطاء الأمير سلطان؛ لتنوّع مجالاته، وتعدّد أوجهه، لكن عملاً بالقاعدة الشرعية: (ما لا يُدرك كله لا يُترك جلّه) نحاول في هذه الأسطر رصد تجربة إنسانية عريضة وَسَمَت صاحبها بجدارة بلقب (سلطان الخير).

الولادة والنشأة

وُلد الأمير سلطان في مدينة الرياض يوم الخميس ١٣ رجب سنة ١٣٤٦هـ/ ٥ يناير عام ١٩٢٨م، ونشأ في كنف والده الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- مؤسّس الدولة السعودية الحديثة.

ولقي الأمير سلطان عناية والده كغيره من أبناء الملك عبدالعزيز، فتربّى تربيةً صالحةً، وتعلّم القرآن الكريم والعلوم العربية على يد كبار المعلمين، ثم واصل تعليمه، فكان لهذه التنشئة الدينية أثرها الكبير في أخلاقه، وتصرفاته، ثُمّ في حياته العامة، وعلاقته بالناس، وإدارته واضطلاعه بالمسؤوليات الكبيرة التي أسندت إليه.

وكان لملازمة والده الملك عبدالعزيز -رحمه الله- بالغ الأثر في إكسابه الخبرة العملية، والحنكة السياسية. كما كان ملازماً أخاه الملك فيصل بن عبدالعزيز في جميع رحلاته الخاصة والدولية؛ فكان لهذا أثر واضح في النهج الذي تبنّاه سمو الأمير سلطان في ممارسة أعباء المهام التي تولاها. وحمل سموه المسؤوليات، ومارس العمل العام، منذ مُقتبل حياته، وكان باستمرار في قلب السياسة السعودية داخلياً وخارجياً.

مسؤولياته

أولى الملك عبدالعزيز آل سعود -رحمه الله- الأمير سلطان ثقته؛ فعيّنه أميراً على الرياض في الأول من ربيع الآخر سنة ١٣٦٦هـ/ ٢٢ فبراير عام ١٩٤٧م. وقد أسهم الأمير سلطان مع والده في إقامة نظام إداري متين، مبنيّ على العدالة الاجتماعية، وتطبيق شريعة الإسلام. وعند تشكيل أول مجلس وزراء في المملكة العربية السعودية عُيِّن الأمير سلطان وزيراً للزراعة في ١٨ ربيع الآخر سنة ١٣٧٣هـ/ ٢٤ ديسمبر عام ١٩٥٣م. وكان أهم المشروعات التي عُني بها سموه آنذاك هو مشروع توطين البدو، ومساعدتهم على إقامة مزارع حديثة، وهو مشروع يعدّ أحد التوجهات الأساسية للدولة في خطواتها التطويرية.

وفي العشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٥هـ/ ٥ نوفمبر عام ١٩٥٥م عُيِّن الأمير سلطان بن عبدالعزيز وزيراً للمواصلات، وأسهم في إدخال شبكات المواصلات البرية الحديثة، والاتصالات السلكية واللاسلكية، وإنشاء طريق السكة الحديدية بين الرياض والدمام.

وفي الثالث من شهر جمادى الآخرة سنة ١٣٨٢هـ/ ٢١ أكتوبر عام

سموّه برفقة جلالة الملك فيصل في إحدى جولاته



الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود

فقيد الوطن والأمة

١٩٦٢م عُيِّن سموه وزيراً للدفاع والطيران، ومنذ ذلك التاريخ حتى وفاته -رحمه الله- شهدت القوات المسلحة بكامل فروعها (البرية، والجوية، والبحرية، وقوات الدفاع الجوي) تطورات واسعة.

وفي سنة ١٤٠٢هـ، صدر أمر ملكي بتعيين الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائباً ثانياً لرئيس مجلس الوزراء، إلى جانب كونه وزيراً للدفاع والطيران، ومفتشاً عاماً.

وقد ترأس الأمير سلطان مدةً طويلةً اجتماعات اللجنة العليا لسياسة التعليم، واللجنة العليا للإصلاح الإداري، ومجلس القوى العامة، والهيئة العليا للدعوة الإسلامية، والمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، والهيئة الوطنية لحماية الحياة الفطرية وإنمائها، واللجنة الوزارية للبيئة، واللجنة السعودية- اليمنية المشتركة المشرفة على المشروعات التي تنفّذها المملكة العربية السعودية في اليمن، إلى جانب ترؤس سموّه مجلس إدارة الخطوط الجوية العربية السعودية، ومجلس إدارة المؤسسة العامة للصناعات الحربية، واللجنة العليا للتوازن الاقتصادي. كما ترأس سموه -رحمه الله- مجلس إدارة الموسوعة العربية العالمية التي صدرت طبعتها الأولى في سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م. وكان سموه -رحمه الله- ينفق على هذا المشروع من ماله الخاص؛ خدمةً للعالمين العربي والإسلامي، وإسهاماً منه في نشر العلم والمعرفة، وكان سموّه يرأس لجنة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام.

سموّه مع خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز



وللأمير سلطان بن عبدالعزيز جهود واسعة في مجال العمل الخيري والإنساني، توّجت بإنشائه مدينة الأمير سلطان للخدمات الإنسانية، إلى جانب وجود عدد من المؤسسات والجمعيات الخيرية التي تحمل اسم سموه الكريم.

وفي يوم الاثنين ٢٦ من جمادى الآخرة سنة ١٤٢٦هـ/ ١ أغسطس عام ٢٠٠٥م أصدر خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز الأمر الملكي السامي بتعيين الأمير سلطان بن عبدالعزيز نائباً لرئيس مجلس الوزراء، إضافةً إلى ولاية العهد.

تطوير القوات المسلحة

منذ تولّيه مسؤولية وزارة الدفاع سنة ١٣٩٢هـ ظلّ الأمير سلطان ابن عبدالعزيز -رحمه الله- يضع الخطط والإستراتيجيات الطموحة التي تتماشى مع الدور المنوط بوزارة الدفاع ورسالتها. وبفضل توجيهاته الرشيدة بلغت القوات المسلحة السعودية شأواً عظيماً يُشار إليه بالبنان، ليس في مهام الدفاع فحسب، وإنما بتركيز وزارة الدفاع في التنمية والتطوير والتحديث المستمر؛ تحقيقاً لأهداف قيادة المملكة وإستراتيجيتها العسكرية منذ عهد الملك المؤسس الملك عبدالعزيز ابن عبدالرحمن آل سعود -رحمه الله- التي تؤكد أن القوات المسلحة السعودية لم تُوجد للدفاع عن حدود المملكة فقط، وإنما للدفاع عن أراضي الأمة العربية عندما تلزم الحاجة.

الأمير الإنسان

على الرغم من تعدّد إنجازات ولي العهد -رحمه الله- في كلّ المجالات إلا أن اسمه ارتبط بالمواقف الإنسانية الحانية، واللفتات الكريمة لجميع فئات المجتمع، خصوصاً المرضى والمسنين والأطفال المحتاجين إلى رعاية صحية خصوصاً في سنّ مبكرة، فاهتم -رحمه الله- بدعم الجانب الصحي وتطويره؛ وهذا ما يؤكد إنسانيته، واهتمامه بصحة المواطن، وتوفير البيئة الصحية بكلّ ما يمكن أن يخفّف معاناة المرضى بتقديم الرعاية الصحية لهم بين أهليهم من غير أن يتكبدوا تكاليف العلاج والسفر إلى خارج البلاد.

وصدر الأمر الملكي الكريم بالموافقة على إنشاء مدينة سلطان ابن عبدالعزيز للخدمات الإنسانية؛ ليكون مشروعاً إنسانياً

عظيماً يجسّد رقيّ مشاعر سموه لتقديم أرفع المستويات من الخدمات الصحية والتأهيلية. وقد وضع سموه حجر أساسها في المحرم سنة ١٣٨٦هـ، وتبلغ مساحتها مليوناً و٢٠٠ ألف متر مربع، وتقع في منطقة بنبان شمال مدينة الرياض. وتتخصّص المدينة في التأهيل من خلال برامج مصمّمة خصيصًى لإعادة المريض إلى حالته الطبيعية قدر المستطاع؛ للاعتماد على نفسه ودمجه في المجتمع من منطَلق رسالة المدينة مساعدة الناس ليساعدوا أنفسهم. وقد نالت المؤسسة جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام سنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.

رائد السياحة في المملكة

انطلاقاً من حرص المملكة العربية السعودية على تنمية مواردها البشرية والطبيعية وتطويرها لتحقيق مستوى معيشي رفيع للإنسان السعودي، ولما تمتاز به المملكة من تراث حضاري غنيّ، ولتنوّع مواردها وثرواتها الطبيعية والثقافية، اهتم الأمير سلطان بن عبدالعزيز -رئيس مجلس إدارة الهيئة العليا للسياحة سابقاً، رحمه الله- بتنمية السياحة في المملكة وتطويرها. ونتيجةً لذلك قامت مشروعات سياحية وترفيهية عملاقة أسهمت في ترسيخ مفهوم السياحة في المملكة؛ حتى أصبحت صناعةً استثماريةً ناجحةً بكلّ المقاييس الاقتصادية والاجتماعية.

سلطان الإنسان



قام في المملكة عدد من المراكز والكليات المتخصصة، التي حظيت باهتمام وليّ العهد -رحمه الله- ودعمه؛ مثل: كلية الأمير سلطان لعلوم السياحة والفندقة؛ بهدف المساهمة في تطوير الكفاءات العلمية وتأهيلها لتلبية احتياجات القطاع السياحي؛ مما يساعد على إقامة مؤسسات علمية تعمل على تحقيق مستوى علمي متميز في علوم السياحة والفندقة.

رجل البيئة العربي الأول

ساهمت جهود الأمير سلطان بن عبدالعزيز ورعايته أنشطة المحافظة على البيئة والحياة الفطرية في تبوُّؤ بلاده مكانة الريادة، فأصبحت في مصافّ الدول المتقدمة في هذا المجال، حتى إن عدداً من المنظمات الدولية ذات العلاقة بموضوع البيئة والحياة الفطرية دعت إلى اتخاذ تجربة السعودية الفريدة أنموذجاً يُحتذى به في جميع أنشطة المحافظة على البيئة.

ونال الأمير سلطان لقب رجل البيئة العربي الأول، كما اختارته وكالة (ويتنس) الدولية أحد الرجال العشرة العالميين الذين يعملون من أجل الحفاظ على بيئة كوكب الأرض.

وجاء هذا الاهتمام من الأمير سلطان بهذا القطاع من منطلق قناعته الدائمة بأنه جزء من البيئة، وتشغله همومها، ولا يترك أمراً من أمورها من دون توقف ودراسة وتوجيه بحلول صائبة. وقد رعى سموه -رحمه الله- عدداً من المناسبات التي قامت الهيئة فيها بإعادة توطين رموز الحياة الفطرية؛ مثل: الاحتفال في محمية محازة الصيد، والاحتفال في محمية عروق بني معارض بالربع الخالي. كما أنشأت المملكة عام ١٩٨٦م مركز دراسات الصحراء، الذي تحوّل عام ٢٠٠٠م إلى مركز الأمير سلطان لأبحاث البيئة والمياه والصحراء. وقد نُفِّذ مشروع الأطلس الفضائي بدعم وتمويلٍ من الأمير سلطان بن عبدالعزيز لمصلحة مؤسسة سلطانٍ بن عبدالعزيز الخيرية.

جامعة الأمير سلطان الأهلية

إن النواة الأولى لنشأة هذه الجامعة كانت فرحة أهالي مدينة الرياض بمقدم الأمير سلطان بن عبدالعزيز من رحلته

العلاجية التي تكللت بالنجاح؛ فقد بادروا إلى إنشاء هذه المؤسسة التعليمية تعبيراً عن مشاعرهم تجاه سموه، وقد بارك الأمير سلطان هذه الخطوة، فقدم الدعم السخيّ حتى تخطو نحو الأمام محققةً أهدافها.

وبذل صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز -رئيس مجلس إدارة مؤسسة الرياض الخيرية للعلوم- جهوداً كبيرة بتبنّيه الفكرة، ورعايته الكريمة لها.

الأوسمة الرفيعة دليل على إنجازاته

حصل الأمير سلطان بن عبدالعزيز -رحمه الله- على عدة أوسمة من الدرجات الرفيعة؛ فعلى سبيل المثال: اختارته جامعة كرانفيلد البريطانية لعلوم الفضاء والطيران ليكون شخصية العام لسنة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م، ومنحته الدكتوراه الفخرية للجامعة؛ لما قدمه في مجال الطيران المدني والعسكري. كما يحمل سموه وشاح الملك عبدالعزيز من الطبقة الأولى، الذي يعدّ أعلى وسام في المملكة. واختارته وكالة (ويتنس) الدولية للنشر ضمن قائمة أبرز الذين يعملون لحماية كوكب الأرض. كما حصل -رحمه الله- على درع رجل البيئة العربية سنة ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م، والاتحاد العربي للشباب والبيئة، وقلّده الرئيس الفلسطيني الراحل ياسر عرفات وسام نجمة فلسطين سنة ١٤١٨هـ، وحصل سموه على وشاح الاستحقاق للجمهورية الإيطالية من الدرجة الممتازة، كما مُنح جائزة جمعية الأطفال المعوقين للخدمات الإنسانية سنة ١٤١٨هـ. وتواصلت إنجازات سموه التي قُوبلت بالتكريم والتقدير بمنحه الشهادات الفخرية؛ كمنحه الدكتوراه الفخرية في العلوم السياسية من الجامعة الإسلامية في ماليزيا سنة ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، وتمّ اختيار سموه سنة ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢م لجائزة شخصية العام الإنسانية التي يقدمها مركز راشد للشخصية الإنسانية في دبي.

أفاخر بعمي

كان لصاحب السمو الملكي الأمير خالد الفيصل -أمير منطقة مكة المكرمة، والمدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيرية- علاقة خاصة بسموه رحمه الله؛ فقد ظلّ الأمير خالد يقول: «إذا كان هذا الاسم العظيم يعني لكلّ الناس الأمان والعطاء والوفاء وكلّ الشيم، فكيف يكون بالنسبة إليّ وقد عوّضني عطف الأب، وعطاء المعلّم، وخصوصية الصديق؛ تواضعاً منه، وعطفاً على شخصي من مقام سموّه الكريم». كما قال عنه شعراً:

أفاخر بعمي على الناس وأثني
ويستاهل البيضا سلايل كحيلان



سموّه يطمئن على سير العمل في مشروع الإسكان الخيري بعسير



الأمير سلطان يتجول في معرض «شاهد وشهيد» بالمنطقة الشرقية

العددان ٤٢١-٤٢٢ / رجب - شعبان ١٤٣٢هـ

المحتويات

إدارة التحرير

رئيس التحرير: يحيى محمود بن جنيد

نائب رئيس التحرير: عبدالله يوسف الكويليت

هيئة التحرير

حسين حسن حسين

محسن بن حمد الخرابة

حوى النبي علي صالح

سيد علي الجعفري

الإخراج الفني

الوليد إبراهيم دينار

المراسلات للتحرير والإدارة

ص.ب (٣) الرياض ١١٤١١

المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٧ ـ ٤٦٥٢٢٥٥

ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

الاشتراك السنوي

١٥٠ ريالاً سعوديًا للأفراد، ٢٥٠ ريالاً سعوديًا للمؤسسات، أو ما يعادلهما بالدولار الأمريكي خارج المملكة العربية السعودية.

الإعلانات

هاتف: ٤٦٥٢٢٥٥ ـ ناسوخ: ٤٦٤٧٨٥١

رقم الإيداع

في مكتبة الملك فهد الوطنية

٤١/٢٤٥٠

ردمد ١٤١١ـ٠٨٥٢٠

الناشر

دار الفيصل الثقافية

www.alfisal-mag.com

contact@alfaisal-mag.com

alfaisalmagazine@yahoo.com



توفي إلى رحمة الله تعالى يوم السبت ٢٤ من ذي القعدة سنة ١٤٣٢هـ صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبدالعزيز آل سعود –ولي العهد، نائب رئيس مجلس الوزراء، وزير الدفاع والطيران والمفتش العام– بعد مسيرة حافلة بالعطاء منذ أن دخل معترك الحياة العامة وهو لا يزال صبياً في عهد والده الملك عبدالعزيز طيّب الله ثراه، ولن ينقضي هذا العطاء بوفاته؛ لما تركه من أعمال إنسانية تؤتي ثمارها كلّ حين.

ضوابط النشر

- يفضل طباعة المادة المرسلة على الحاسب الآلي، وإرسال نسخة على قرص مرن إن أمكن، أو كتابتها بخط مقروء على ورق A4 جيد، مع إرفاق سيرة ذاتية، وصورة ملونة حديثة.
- لا تفضل المجلة نشر المقالات الانطباعية التي تخلو من المعلومات.
- يرجى إرفاق صور أصلية ملونة جيدة مع الاستطلاعات والموضوعات الملونة، ولا تقبل الصور المأخوذة من الصحف والمجلات.
  في حال إرسال قصة مترجمة يرجى إرفاق الأصل المترجم.
- لا تنشر المجلة الموضوعات المترجمة مباشرة من مجلات أجنبية، إلا إذا كان هناك إذن مسبق منها، وإن كان لا مانع من اتخاذها مصدرًا من مصادر الموضوع، مع توضيح مواضع الاقتباسات بشكل علمي.
- المواد التي يعتذر من عدم نشرها لا تعني بالضرورة ضعف مستواها، ولكن قد تكون هناك مواد كثيرة في الموضوع نفسه سبق نشرها، أو تنتظر النشر. ولا ترد المقالات إلى أصحابها بأي حال من الأحوال.
- يرجى إرفاق صورة غلاف الكتاب الذي يتم عرضه في باب «قراءات» مع بيانات وافية عن الكتاب المعروض تشمل: عنوانه، واسم مؤلفه، ودار النشر ومقرها، وسنة النشر، وعدد الصفحات.
- نأمل من الإخوة الكتاب الذين يراسلون المجلة من خارج المملكة العربية السعودية كتابة أسمائهم بالحرف اللاتيني.
- الموضوعات التي مضى عليها وقت طويل ولم تنشر في المجلة سيتم الرد على الكتّاب بعد إعادة تقويمها بغض النظر عن أنها قد أجيزت من قبل للنشر.
- لا تمنح مكافآت على ما ينشر في بابي «رسائلكم» و«ردود وتعقيبات ».
- يرجى الاهتمام بالتوثيق، ومن أهم ما ينبغي مراعاته:
- يفضل تخريج الآيات القرآنية من القرآن الكريم مع تشكيلها، وذلك بذكر اسم السورة ووضع نقطتين بعدها ورقم الآية.
- يفضل تخريج الأحاديث الشريفة من كتب الحديث مع ذكر طبعة الكتاب.
- التثبت من النقول التي تنقل من الكتب، ولاسيما المصادر والمراجع التراثية القديمة مع ذكر طبعة الكتاب.
- تشكيل الشعر ما أمكن، خصوصًا القديم منه.
- ضبط أسماء الأعلام والشعراء والأماكن والأشياء غير المعروفة والكلمات غير المألوفة بالشكل الصحيح، والتأكد من أن أسماء الأعلام الأجانب مطابقة لما هو متداول في لغاتهم إن أمكن.

الموضوعات التي في المجلة تعبر عن آراء كتَّابها، ولاتعبر بالضرورة عن رأي المجلة.

السعر الإفرادي

السعودية ١٠ ريالات. الكويت ٨٠٠ فلس. الإمارات ١٠ دراهم. قطر ١٠ ريالات. البحرين دينار واحد. عُمان ريال واحد. الأردن ٧٥٠ فلساً. اليمن ١٠٠ ريال. مصر ٤ جنيهات. السودان ١,٥ جنيه. المغرب ١٠ دراهم. تونس ١,٢٥٠ دينار. الجزائر ٨٠ دينارًا. العراق ٨٠٠ فلس. سورية ٤٥ ليرة. ليبيا ٨٠٠ درهم. موريتانيا ١٠٠ أوقية. الصومال ٢٠٠٠ شلن. جيبوتي ١٥٠ فرنكاً. لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية. الباكستان ٢٠ روبية. المملكة المتحدة جنيه إسترليني واحد.

الموزعون

السعودية. الشركة الوطنية الموحدة للتوزيع. هاتف ٤٨٧١٤١٤(٠١). فاكس ٤٨٧١٤٦٠(٠١)، مصر. مؤسسة توزيع الأهرام. شارع الجلاء هاتف: ٣٣٩١٠٩٥. فاكس ٣٣٩١٠٩٦. ٢٠٢..، سورية. المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات ص.ب ٥٣٠١ هاتف ٨٤٢٨٢١٢. فاكس ٢١٢٢٥٣٢. ١١. ٠٠٩٦٣، تونس. الشركة التونسية للصحافة. ٣ نهج المغرب. ص.ب ٧١٩. فاكس ٧١٤٠٠٣٢٣/ هاتف ٩٣٢٢٤٩. ٧١. ٠٠٢١٦، قطر. دار الشرق للطباعة والنشر والتوزيع. ص.ب ٣٤٨٨ هاتف ٤٦٦١٢٨٢. فاكس ٤٦٦١٨٦٥. ٠٠٩٧٤، الأردن. شركة وكالة التوزيع الأردنية. ص.ب ٣٧٥ هاتف ٤٦٣٠١٩١. فاكس ٤٦٣٥١٥٢. ٦. ٠٠٩٦٢، البحرين. مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص.ب ٢٢٤ هاتف ٢٩٤٠٠٠. فاكس ٥٣١٢٨١. ٠٠٩٧٣، الإمارات العربية المتحدة. مكتبة دار الحكمة ص.ب ٢٠٠٧ هاتف ٤٩٣٥٦٦٢. فاكس ٢٦٦٩٨٢٧. ٤. ٠٠٩٧١، الكويت. شركة المجموعة الكويتية للنشر والتوزيع ص.ب ٢٩١٢٦ ت ٢٤١٧٨١٠/١١/١٢. فاكس ٢٤١٧٨٠٩. ٠٠٩٦٥، المغرب. الشركة الشريفية لتوزيع الصحف فاكس: ٢٢٤٠٤٠٣١/٣٢. ٠٠٢١٢ ت: ٢٢٤٠٠٢٢٣، الجمهورية اليمنية. القائد للنشر والتوزيع هاتف: ٢٠١٩٠١/٢. ٣. ٠٠٩٦٧ فاكس: ٢٠١٩٠٩/٧

alfaisalmagazine@yahoo.com

رســـائلكم



أرشيف «الفيصل»

إخوتي في موقع مجلة الفيصل، أين اختفى أرشيف مجلة الفيصل؟ ألم يحن الوقت ليستفيد الناس منه؟

خالد الأطسي – المغرب

التحرير

نشكر لك متابعتك، ونفيدكم بأن موقع المجلة يشتمل على أرشيف كامل لأعداد الفيصل، وسيتم إتاحته للقراء قريباً باشتراكات رمزية، ونأمل أن يكون مفيداً للباحثين عن الثقافة الجادة.

مقالات «الفيصل»

أحتاج إلى ثلاث مقالات من مقالات مجلة الفيصل، فهل لو أرسلت عناوينها وأرقام أعدادها يمكنني أن أحصل عليها؟ وشكراً.

تامر مختار – مصر

التحرير

نشكر اهتمامكم، ويسرّنا أن نرسل إليك الأعداد التي تشتمل على المقالات التي تريدها؛ لذا نأمل أن ترسل لنا أرقام الأعداد وعناوين المقالات.



ملتقى فلسفي

أنا طالب باحث في ماجستير فلسفة التواصل بكلية الآداب والعلوم الإنسانية التابعة لجامعة عبدالملك السعدي بتطوان – مارتيل. وقد أنجزت تقريراً مفصّلاً عن الملتقى الفلسفي الثاني الذي انعقد في الكلية ذاتها في موضوع: الفلسفة والسلم العالمي، يومي ٢٩ و٣٠ نوفمبر عام ٢٠١٠م، وأستفسر عن إمكانية نشره في مجلتكم المرموقة، وتقبلوا فائق تقديري واحترامي.

الصادق الرمبوق – المغرب

التحرير

نشكر اهتمامكم الكريم، ونفيدكم بترحيبنا بالتغطيات الخاصة بالفعاليات والمؤتمرات العلمية، على أن تكون حديثة؛ إذ يمكن تضمينها في الملف الثقافي، ونرحّب بمشاركاتكم، سواء أكانت تغطيات أم مقالات أم استطلاعات أم غيرها.

الحصول على أعداد «الفيصل»



إلى القائمين على مجلة (الفيصل)، لكم مني كل التحية والتقدير؛ لما تقومون به من خدمة في مجال المعرفة، واحترامكم الكبير لعقل الإنسان العربي ووقته. أتمنى منكم إفادتي عن كيفية الحصول على النسخة الورقية من مجلة (الفيصل) منذ صدورها، وأتمنى لكم التوفيق.

علي محمد

التحرير

تستطيع الحصول على أعداد المجلة من خلال قسم الاشتراكات والتوزيع، بإرسال شيك بقيمة هذه الأعداد. هناك ثلاثة مجلدات تضم أعداد المجلة من العدد الأول إلى العدد ١٨٠، وقيمتها ١٠ريالات لكل نسخة. ويمكنكم الاتصال على الرقم ٠٠٩٦٦١٤٦٥٢٢٥٥ تحويلة ٦٦٤٠.

المسكوكات الإسلامية

أرغب في الحصول على أعداد مجلة (الفيصل) التي تتحدث عن المسكوكات الإسلامية؛ مثل:

- دينار يساوي خمسة ملايين بالمتحف العراقي، ع٢٨٢، ذو الحجة ١٤٢٠هـ/ مارس - إبريل ٢٠٠٠م.
- دنانير هارون الرشيد الذهبية، ع٢٦٦، شعبان ١٤١٩هـ/ نوفمبر - ديسمبر ١٩٩٨م.
- درهم تذكاري أموي بمناسبة القضاء على حركة عبدالله بن الزبير، ع٢٧٦، جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ/ سبتمبر - أكتوبر ١٩٩٩م.

وغيرها من الأعداد إن وجد.

نزار إسحاق - السعودية

التحرير

سيتم إرسال قائمة بالموضوعات المتعلقة بالمسكوكات الإسلامية إليكم؛ لتختاروا منها المقالات المطلوبة، ثم يمكنكم التواصل مع قسم الاشتراكات والتوزيع بخصوص القيمة، وطريقة الإرسال.

استطلاع

ضريح السلطان سنجر السلجوقي

مرو الشاهجان..

مدخل لإعادة صياغة كتب البلدان

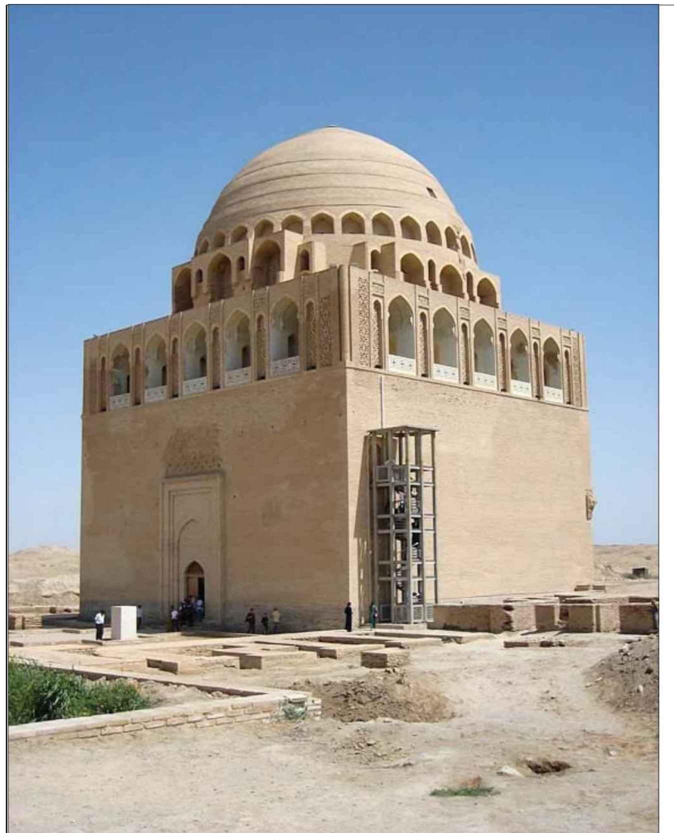
يحيى محمود بن جنيد

الرياض – السعودية



ضريح بريدة بن الحصيب رضي الله عنه

لا يخلو كتاب من كتب التراث العربي في مختلف فنون المعرفة من إشارات إلى مرو الشاهجان وذِكْرها، سواء من خلال تاريخها، أم أعلامها، أم قُراها، أم حوادث شهدتها كانت على قدر كبير من الانتشار.



ضريح السلطان سنجر السلجوقي



ضريح ضريح يوسف الهمذاني

فتاريخياً هي من أقدم المدن التي دخلتها جيوش الفاتحين المسلمين؛ إذ يُقال: إن ذلك كان في نحو سنة ١٨ أو ٢١ أو ٢٢، وقيل: ٣١ هجرية، وهذا الأمر يعني أنها كانت حاضرة إسلامية منذ بدء انتشار الإسلام في النصف الأول من القرن الهجري الأول، وتوطّنت قبائل عربية كثيرة فيها، أو في القرى المحيطة بها، من أهمها: تميم، وشيبان، وبكر بن وائل، والأزد، وخزاعة، ثم تحوّلت إلى مركز من مراكز العلم الأساسية، فتواترت سِيَر أعلامها من علماء الحديث والفقه والتفسير واللغة والأدب والطب، وأصبح المراوزة يمتلكون مساحة طيبة في كتب التراجم الأساسية؛ مثل: مشاهير علماء الأمصار لابن حِبّان البستي، وتاريخ مدينة السلام للخطيب البغدادي، وذيله لابن الدُّبَيْثي، ومعجم الأدباء لياقوت، وتاريخ الإسلام، وسير أعلام النبلاء، وكلاهما للذهبي، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة، وطبقات الشافعية للإسنوي، وجُلّ كتب تراجم الأحناف، وكتب رجال الحديث، وكتب تراجم المتصوّفة، وكتب التراجم العامة.

وإذا أُطلقت كلمة (مرو) وحدها فالمقصود بها مرو الشاهجان، والنسبة إليها (مروزي) على غير قياس. وهناك مدينة أخرى هي مرو الروذ تقع حالياً في إيران، وتستعمل مقيدة دائماً؛ أي: مرو الروذ، والنسبة إليها (مرو روذي).

وتشرّفت هذه المدينة في بدايات عهدها الإسلامي بحلول أربعة من الصحابة بها، هم: بُرَيْدَة بن الحُصَيْب الأسلمي (ت ٦٣هـ)، والحكم بن عمرو بن مُجدَّع الغِفَاري (ت ٥١هـ)، وأبو برزة نضلة بن عبيد الأسلمي(ت ٦٤هـ)، وقُريط بن أبي رِمثة رضي الله عنهم، ثم حلّ بها جملة من التابعين وتابعيهم، منهم: الربيع بن أنس بن زياد البكري الخراساني المروزي، انتقل من البصرة إلى مرو، و«كان عالم مرو في زمانه» كما يقول الذهبي، وعبدالله بن المبارك (ت ١٨١هـ)، والمُحدِّث الإمام إسحاق بن إبراهيم بن راهويه التميمي المروزي (ت ٢٣٨هـ)، ثم ذُرّيته من

تربية الأبل والزراعة من الأنشطة الرئيسية في مرو



بعده، ونعيم بن حماد الخزاعي المروزي (ت ٢٢٨هـ)، والوزير القاضي محمد بن محمد بن أحمد السلمي المروزي (ت بعد ٣٣٤هـ)، والعالم الزاهد الصوفي يوسف بن أيوب بن يوسف بن وهرة أبو يعقوب الهمذاني (ت ٥٣٥هـ).

ولهذه المدينة خصوصية في التاريخ العباسي؛ إذ كانت مركز الدعاة العباسيين والنقباء، وحيكت على أرضها خطة إسقاط الدولة الأموية، ومنها انطلق جيش العباسيين نحو العراق والشام، وسار إليها في سنة ١٣٣هـ أبو جعفر المنصور مبعوثاً من أخيه الخليفة أبي العباس السفاح لمناقشة أمر أبي سلمة الخلال مع أبي مسلم الخراساني واتّفقا على قتله، وكانت مقرّ الخليفة المأمون الذي أنهى خلافة أخيه الأمين، ثم عاش فيها خليفةً خمس سنوات قبل أن يتوجّه إلى عاصمة الدولة العباسية بغداد.

احتضنت مرو، عبر قرون طوال، أُسَراً من العلماء توارث

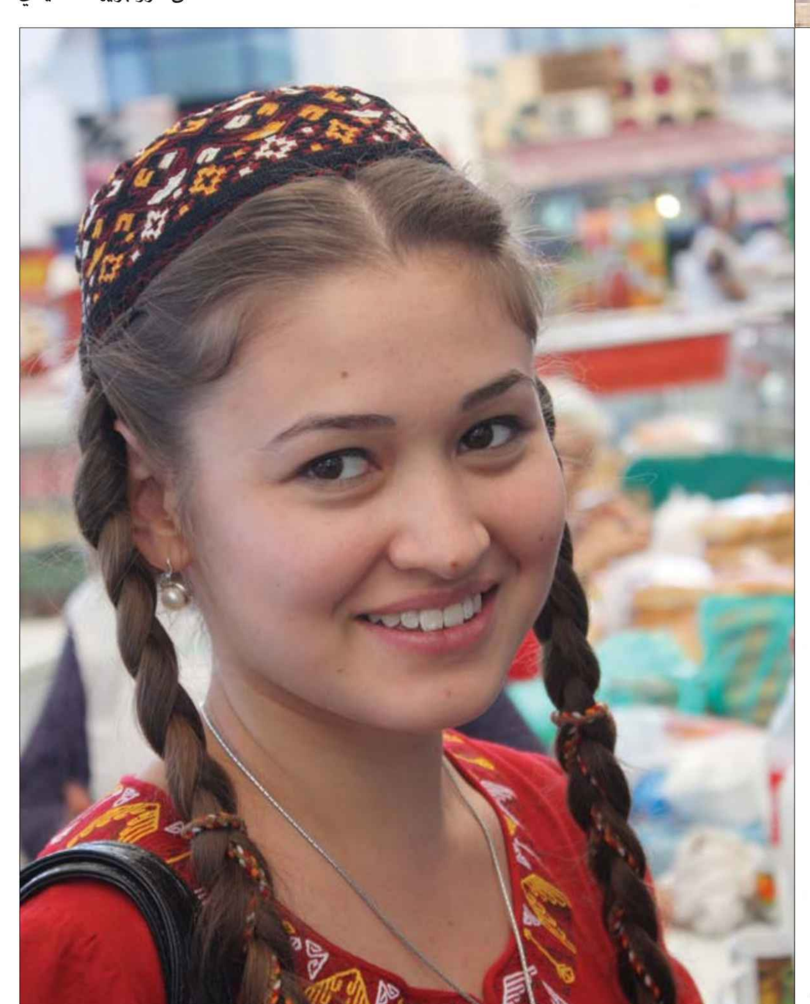
مطار مرو عند استقبال الضيوف



أبناؤها الرئاسة في فنون معرفية؛ مثل: السمعانيين من بني تميم، الذين عُرف منهم أكثر من ثلاثة عشر عالماً، أبرزهم: أبو سعد السمعاني (ت ٥٦٢هـ) صاحب كتاب (الأنساب).

وحفلت مرو بمراكز علمية كبيرة، ومجالس علم كانت تُقصد من أقطار الإسلام الأخرى، وقد استفاد ياقوت الحموي (ت ٦٢٦هـ) في عمليه الموسوعيين الكبيرين: معجم الأدباء، ومعجم البلدان، من مكتباتها؛ إذ انكبّ ينهل من خزائن كتبها التي أشار إلى عشرٍ منها. وانتشر المنتسبون إليها في مدنٍ كثيرة؛ مثل: بغداد، ودمشق، وحلب، ومكة، والقاهرة، فكانت الإشارة إليهم تأتي على ذكر مواطنهم الجديدة مع تأكيد أصولهم المروزية؛ مثل: الإمام أحمد بن حنبل الشيباني المروزي (ت ٢٤١هـ)، والقاضي يحيى ابن أكثم (ت ٢٤٢هـ)، وهو بغدادي من أصل مروزي، وإسماعيل ابن عبدالله بن ميمون العجلي المروزي (ت ٢٧٠هـ)، وعبدالرحمن

فتاة من مرو بزيها التقليدي



لهذه المدينة خصوصية في التاريخ العباسي؛ إذ كانت مركز الدعاة العباسيين والنقباء، وحيكت على أرضها خطة إسقاط الدولة الأموية

ابن يوسف بن سعيد بن خراش الحافظ أبي محمد المروزي الأصل البغدادي (ت ٢٨٣هـ)، وأحمد بن علي بن سعيد القاضي أبي بكر المروزي قاضي حماة (ت ٢٩٢هـ).

وتقلّص دور هذه المدينة بعد القرن السابع الهجري عقب خرابها على يد المغول. واليوم يعمّ الجهل بموقع هذه المدينة؛ فلا يعرّفها محقّقو كتب التراث إلا بموقعها القديم: مدينة في خراسان!. وينقل الكلّ ما ذُكر عنها في معجم البلدان لياقوت، أو غيره من البلدانيين العرب القدماء، من دون إشارة إلى موقعها على خريطة العالم المعاصر، وهو كسل علمي لا يخصّها وحدها، بل يسري على كلّ مدن التاريخ الإسلامية؛ مثل: بخارى، وسمرقند، ونسف، ومرغلان، والشاش، وفرغانة، ونسا، وزمخشر، وطراز، وفارياب، وزنجان، ونيسابور، وأستراباذ، ومراغة، وغيرها، ومن ثَمّ فإن الأمر يتطلب من المحققين المعاصرين وجوب الإشارة إلى الدولة التي تقع فيها أمثال تلك المدن في العالم المعاصر.

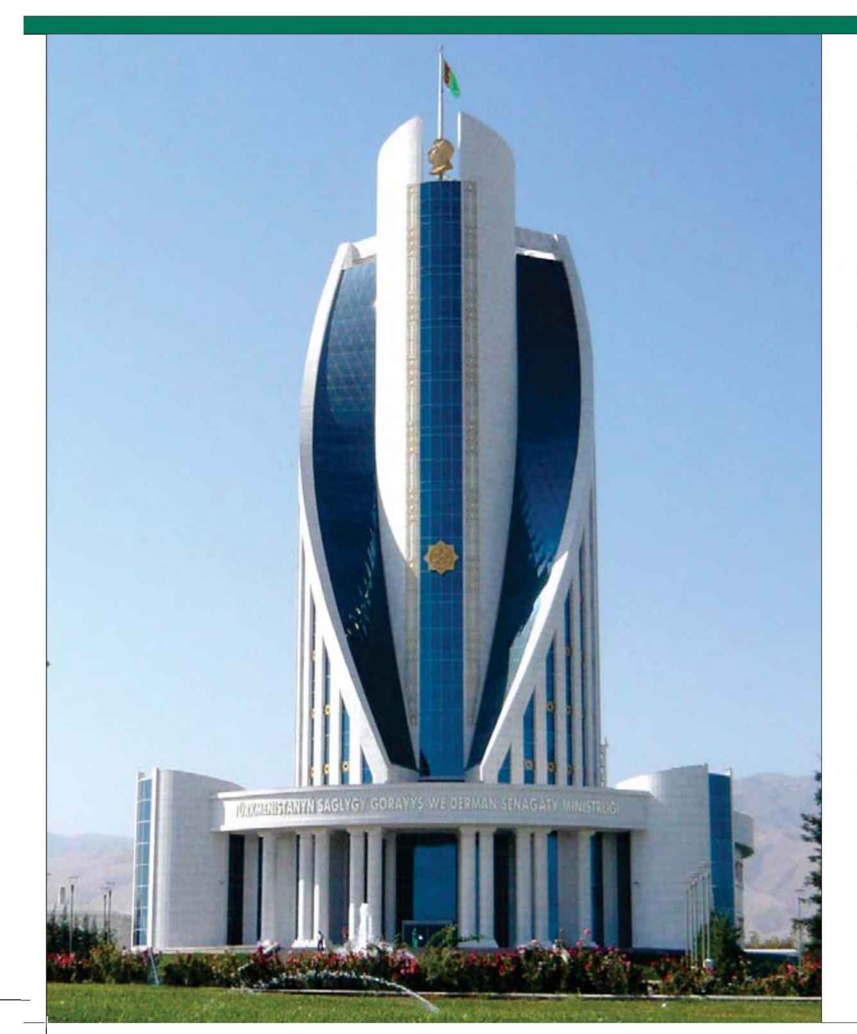
فمرو - الأنموذج المختار - ولاية كبيرة تقع في الجنوب الشرقي من جمهورية تركمانستان، وعاصمتها مرو نفسها، وتقسم قسمين: أولهما مدينة عصرية تُعرف بـ(ميري Mary) تعجّ بالمباني الحديثة والطرقات الواسعة، وتضم مطاراً إقليمياً يربطها بمدن تركمانستان الرئيسة، كما أنها تحتوي على معالم ثقافية من متاحف ومكتبات ومسارح ودور سينما، وثانيهما: مرو القديمة، وهي خارج العمران، ذات أطلال متراكمة، تتناثر على أرضها بقايا سور قديم ومقابر جُدِّد بعضها؛ مثل: قبري الصحابيين الجليلين بُرَيْدَة بن الحُصَيْب بن عبدالله الأسلمي، والحكم بن عمرو بن مُجَدَّع الغفاري، وقبر السلطان سنجر السلجوقي، ومعالم أخرى جُدِّدت وأُعيد رسمها في أزمان متأخرة.



مرو الحديثة



مرو: عاصمة منطقة ماري Mary في تركمانستان، ويُقدّر عدد سكانها اليوم بـ(١٣٢) ألف نسمة، وتقع على ضفاف نهر المرغاب



وتُولي حكومة تركمانستان عنايةً بآثارها القديمة السابقة على الإسلام، حُمل بعضها إلى متحف المدينة الحديثة، وجُعل مقصداً للسياح، وطُبعت للتعريف به مطويات ونشرات تعريفية. وهي ترتبط بالعالم الخارجي من خلال مطار تحطّ فيه الطائرات الآتية من العاصمة عشق آباد، إضافةً إلى طريق برّي يربطها بالعاصمة نفسها وبقرى وبلدان أخرى محيطة بها، كما ينطلق منها طريق مُعبَّد إلى حدودها الشرقية عند نهر جيحون، ومنها ينطلق الطريق نفسه قاطعاً صحراء قاسية المناخ إلى داخل جمهورية أوزبكستان ليصلها بمدينة بخارى.

وقد أوردت ويكيبيديا (الموسوعة الحرة الإلكترونية) معلومات عنها نجتزئ منها ما يأتي:

مرو: عاصمة منطقة ماري في تركمانستان، ويقدّر عدد سكانها بـ(١٢٣) ألف نسمة، تقع على ضفاف نهر المرغاب، وهي تقع على إحداثيات ٣٧,٦٠٠ درجة شمالاً و٦١,٨٣٣٣ درجة شرقاً، وهي واحات في صحراء كراكوم، وأنشئت المدينة

الحديثة في سنة ١٨٨٤م مركزاً إدارياً للجيش الروسي، وتطورت عن طريق الاتحاد السوفييتي لتكون مركزاً للمنتجات القطنية من خلال الاستعمال الواسع لهندسة الريّ، وفي سنة ١٩٦٨م تمّ اكتشاف احتياطات هائلة من الغاز الطبيعي على بُعد ٢٠ كيلومتراً غرب المدينة، وهي تعدّ حالياً رابع أكبر مدن تركمانستان، وأكبر مركز صناعي للغاز الطبيعي وصناعات القطن والقمح وجلود الحيوانات والصوف، وأشير في موقع اليونسكو إلى إدراج المدينة القديمة ضمن قائمة التراث العالمي في عام ١٩٩٩م.

وكنتُ قد زرتُ مرو في يناير عام ٢٠١١هـ، فوجدتها كأنما هي قطعة من وسط الجزيرة العربية، أرض فلاة منبسطة تتناثر شجيرات وأعشاب برّية في أطرافها، تنتهي بصحراء تُعرف بـ(قرة قوم)، وعلى مسافة منها منطقة معمورة تُعرف بـ(بيرم علي)، فيها مسجد وضريح الزاهد العالم الصوفي يوسف بن أيوب بن وهرة أبي يعقوب الهمذاني الذي حلّ بها أواخر حياته إلى أن توفّاه الله سنة ٥٣٥هـ، وتحيط بالضريح ساحة واسعة تجمَّع فيها رجال ونساء وأطفال بعضهم ممّن جاؤوا للزيارة، وآخرون من سكان مرو وقراها. ويقطع جانباً من الأرض التي كانت تشكل مرو القديمة نهر المرغاب، الذي يُعرف بهذا الاسم، وقد ذكره ياقوت في معجم البلدان، وتتناثر على أطرافه مزارع ومساكن قروية تنعم بالهدوء والسكينة. إن خرائب هذه المدينة الإسلامية التي كانت تنافس عواصم الإسلام الأخرى تختزن من دون شك كنوزاً لم تُكشف إلى اليوم.

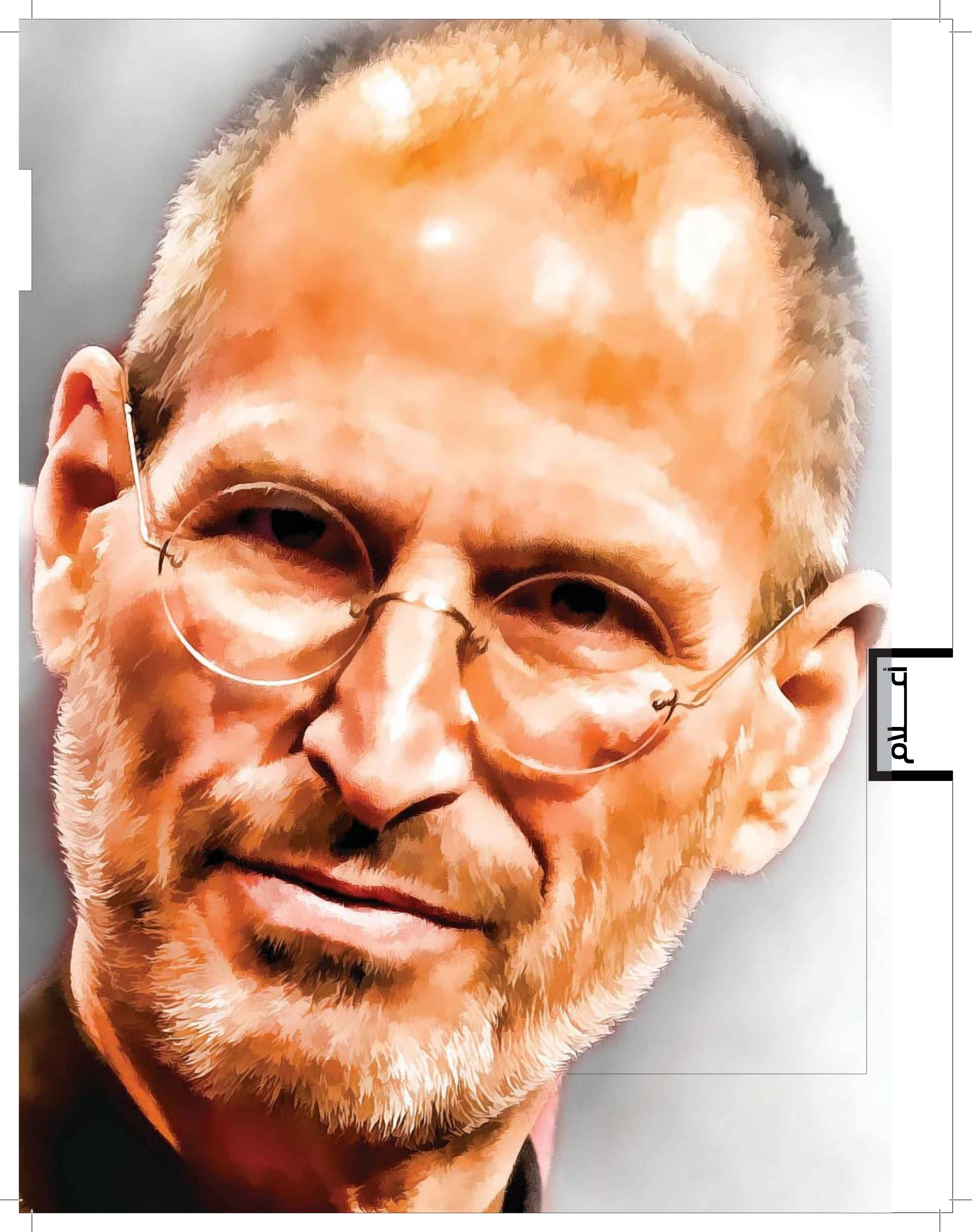
أخلص إلى القول: إن على من يُعرِّف بمرو اليوم أن يشير إلى أنها ولاية ومدينة تُعرف باسم ميري Mary، تقع في جمهورية تركمانستان إحدى جمهوريات وسط آسيا التي استقلت عن الاتحاد السوفييتي عام ١٩٩١م، وهو المنهج المطلوب لمن يُعرِّف بسمرقند؛ إذ يُفترض أن يذكر أنها اليوم مدينة في أوزبكستان، أو يُعرِّف بنيسابور، فيشير إلى موقعها المعاصر داخل إيران.

ولعلّ هناك من يواصل عمل المستشرق كي ليسترنج الذي جلب التاريخ القديم إلى عصره، فتحدث عن الأقاليم والمدن المذكورة في التاريخ الإسلامي في كتابه: (بلدان الخلافة الشرقية)، وعرض فيه المواقع والآثار، ووصفها، وحدَّد مواقعها، ورسم لها الخرائط الموضحة، وبيَّن ما هي عليه في زمنه. وهذا الأمر جعله المرجع الوحيد المفيد الذي يربط بين المدن والأقاليم الإسلامية كما وُصفت في كتب البلدان والمعاجم الجغرافية العربية وما أصبحت عليه في القرن التاسع عشر الميلادي. ومن زمن ليسترنج إلى اليوم حدثت تحوّلات أخرى كثيرة، أهمها: تغيُّر الحدود، وقيام دول بأسماء جديدة، وتغيُّر أسماء مدن؛ مما يتطلب عملاً جديداً يشرح جغرافية الإسلام التاريخي في القرن الحادي والعشرين.

مرو الشاهجان

من المُشترك: بفتح الميم، وسكون الراء المهملة، وفي آخرها واو. ومرو **الشاهجان معناه: روح** الملك، والنسبة إليها: مروزي، وهي مدينة من الرابع من خراسان، **وهي قديمة، يُقال: إنها** من بناء طهمورث، وهي في أرض مستوية بعيدة عن الجبال، وأرضها **سبخة كثيرة الرمل،** ويجري على باب المدينة نهر يُعرف بـ(الرزيق)، يُساق منه الماء إلى **حياض المدينة،** وشرب أهلها منه، ولها ثلاثة أنهار أخر، وبها الفواكه الصحيحة، حتى إن **نضجها يُقدَّد ويُحمل إلى** البلاد، ولها الزبيب المفضّل. وللمدينة من النظافة، وحسن الترتيب، **وتقسيم الأبنية على** الأنهار، وتمييز كلّ سوق عن غيره ما ليس لغيرها من البلاد. **وبينها وبين مرو الروذ أربعة** أيام، وبين مرو الشاهجان وبين كلّ واحدة من نيسابور وهراة وبلخ **وبخارى مسيرة اثني عشر** يوماً. وبمرو الشاهجان كان مقام المأمون لما كان بخراسان. وبمرو **الشاهجان قُتل يزدجرد** آخر ملوك فارس، ومنها ظهرت دولة بني العباس، وفي دار شخص **منها يُعرف بأبي النجم** المغيطي صُبغ أول سواد لبسه المسوِّدة، وفيها جاءت إلى المأمون الخلافة، **وخرج منها عامة** كتّاب الخلافة، وخرج منها جماعة من العلماء والأئمة، وكذلك **كانت في أيام العجم؛ فإن** برزويه الحكيم أو الطبيب كان فيها، ويرتفع منها الإبريسم الكثير **والقطن، ولها نهر عظيم** أوّله من وراء الباميان، ويتشعّب منه أنهار تأتي إلى مدينة مرو، **ويُعرف بنهر مرغاب.**

أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك، محمد بن علي البروسوي (ت ٩٩٧هـ)، **تحقيق: المهدي** عيد الرواضية، ص٥٨٩، ٥٩٠.



صاحب التفاحة

ستيف جوبز.. شقيّ أسعد العالم

خاصّ - الفيصل

إعداد: حسين حسن حسين

...ه جسد روح العبقرية الأمريكية، ...ف ضمن أعظم المبتكرين ...».. بهذه الكلمات نعى ...مريكي باراك أوباما شريك التأسيس في شركة (أبل) ستيف جوبز. وأضاف: «كان ستيف بين أعظم المبتكرين الأمريكيين، ولديه من الشجاعة ما يكفي للتفكير بشكل مختلف، والجرأة الكافية ليعتقد أنه قادر على تغيير العالم ...ان لديه من الموهبة ما ...ذلك».

هذه الكلمات التي عبّر بها الرئيس الأمريكي أوباما عن مشاعره تتناسب ومكانة ستيف جوبز في خريطة العالم بعد أن أصبحت شركة أبل إحدى علامات ثورة المعلومات والاتصال التي غيّرت وجه الحياة.

وإذا كان أوباما هنا يعبّر عن تقدير عظيم لرجل أسهم في تغيير العالم، فإن هناك قواسم مشتركة كثيرة بين الرجلين؛ فكلاهما من أب مسلم؛ فالرئيس أوباما أبوه الكيني الإفريقي المسلم حسين باراك أوباما، الذي التقى والدته آن دونهام، وهي مسيحية، في عام ١٩٦٠م خلال دورة تدريبية في اللغة الروسية في جامعة هاواي في مانوا، وتزوّجا في ٢ فبراير عام ١٩٦١م، وانفصلا عندما كان عمره عامين، وطُلِّقا في عام ١٩٦٤م؛ ليعود أوباما إلى كينيا بعدها، فلم يرَ ابنه غير مرة واحدة فقط قبل أن يموت في حادث سيارة عام ١٩٨٢م.

أما ستيف جوبز، فوالده أيضاً مسلم؛ فهو العربي



عبدالفتاح جندلي الآتي إلى أرض الأحلام من سورية، ومن مدينة حمص تحديداً؛ فهو يشترك مع أوباما الأب في الطموح الذي دفعه إلى مغادرة بلاده من أجل التحصيل العلمي.

الهروب من السياسة

جندلي - حسب المعلومات القليلة المتوافرة عنه - من مواليد مدينة حمص عام ١٩٣١م، وهو من أسرة ثرية هيّأت له الدراسة الجامعية في الجامعة الأمريكية ببيروت، التي غادر إليها وهو في سن ١٨ عاماً، والتي لا يزال يتذكر أيامها ويصفها بأنها أجمل أيام العمر.

وجرف تيار السياسة جندلي، فأصبح أحد أعضاء حركة القوميين العرب، ويُقال: إنه ترأس جمعية العروة الوثقى، وكان التهاب الوضع السياسي سبباً في تفكيره في السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقد ساعده على ذلك أحد أقربائه، وهو نجم الدين الرفاعي مندوب سورية في الأمم المتحدة في عام ١٩٥٤م. وبعد أن قضى عاماً في جامعة كولومبيا تحوّل إلى جامعة وسكنسن حيث نال الماجستير والدكتوراه متخصصاً في الاقتصاد والعلوم السياسية.

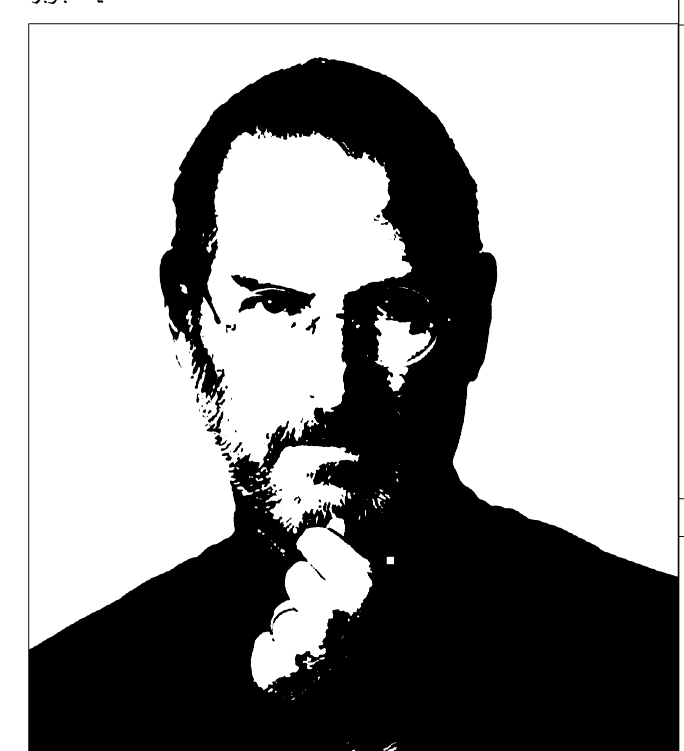
وارتبط جندلي في أثناء الدراسة بعلاقة مع زميلة له من أصل سويسري ألماني، اسمها جوان كارول شيبل، وأثمرت العلاقة عن إنجاب طفل في عام ١٩٥٦م، هو ستيف الذي أبصر الحياة قبل زواجهما، وظلّت ترفضه أسرة جوان؛ مما أدى إلى انفصالهما قبل الولادة.

المتبنيان يذهبان بالطفل بعيداً

يبدو أن جوان أرادت الانتقام ممن هرب منها، ومن أسرتها التي كانت السبب في ذلك، فقامت بعرض طفلها في سان فرانسيسكو على من يرغب في تبنّيه، ووقع خيارها على الزوجين بول وكلارا جوبز، وهما من أصل بولندي؛ ليتبنّيا الطفل، ويذهبا به بعيداً، حتى عجزت الأم عن العثور على أثر لهما.

ولم تمضِ غير أشهر قليلة حتى عاد جندلي ليظهر مرةً أخرى في حياة زميلته وأم ابنه الوحيد، ويبدو أنهما لم يقفا كثيراً عند فقده، وإنما رضيا ببدء حياة جديدة، قوامها الزواج الشرعي؛ لينجبا في عام ١٩٥٧م طفلة سمّياها منى.

وعندما ضاقت الحياة بجندلي آثر الهروب من بلاد الأحلام بعد أن أصبحت تلك الأحلام سراباً، وعاد على أمل أن يصبح دبلوماسياً متحصّناً بتخصّصه العلمي الرفيع، ولعلّ إيمانه بالقومية العربية من دوافع هذه العودة، إلا أن دولة الوحدة (الجمهورية العربية المتحدة) التي جمعت مصر وسورية، والتي



ستيف جوبز



جوبز مع ستيف وزنياك وبينهما جون اسكويلي

كانت أمل القوميين العرب في دولة تجمع أمةً عربيةً واحدةً، لم ترحّب بوجوده، فاضطرّ إلى العمل مديراً لمصفاة تكرير نفط في حمص مدة عام، وكانت زوجته في تلك المدة قد طلبت الانفصال عبر المحاكم، حتى تحقّق لها ذلك في عام ١٩٦٢م.

كما نسي جندلي ابنه نسي زوجته، ولم يكتشف إلا بالمصادفة بعد سنوات أنها تزوّجت أمريكياً من عائلة سيمبسون. ولم يقف كثيراً عند هذا الأمر بعد أن أخذته الحياة الأمريكية، فعمل أستاذاً مساعداً في جامعة ميتشيغن، ثم في جامعة نيفادا. وتقاذفته الحياة بعد ذلك حتى اشترى مطعماً، ثم عمل مديراً لشركات ومؤسسات مرموقة في لاس فيغاس؛ ليعود إلى العمل الخاص، فيفتتح مطعمين في مدينة رينو، ثم انضم إلى (كازينو وأوتيل بومتاون)، إلى أن أصبح نائباً لرئيس المؤسسة التي يتولى إدارتها حالياً.

ولم يزُر جندلي سورية أو لبنان منذ أكثر من ٣٥ سنةً، وصرّح بأنه مسلم الديانة والاعتقاد، لكنه ليس متديناً. ومن واقع تجربته يقدم النصح إلى الشباب العربي بعدم الهجرة إلى أمريكا؛ فالفرص في بلادنا أكثر، خصوصاً في دول الخليج.

الأب الضائع

لم يُقِمْ ستيف جوبز علاقةً مباشرةً مع عائلته الأصلية؛ فقد ظلّ يصف والده بالأب البيولوجي، ولم يَسْعَ إلى رؤيته، مع أن الأب اعترف أنه كتب إليه يطلب لقاءه، وعندما لم يُجِبْهُ لم يُرِدْ تكرار المحاولة من باب حفظ الكرامة؛ حتى لا يعتقد أنه في حاجة إليه.

> أدرك جوبز في أوائل الثمانينيات الإمكانيات التجارية لفأرة الحاسوب، وواجهة المستخدم الرسومية، فقامت أبل بصناعة حواسيب ماكنتوش

والأعجب أن شقيقته منى أخفت اسمها الحقيقي، واختارت اسم عائلة زوج أمها، وهو سيمبسون، وهي من أشهر الروائيات الأمريكيات، وقد استوحت قصة أبيها الذي ضاع منها، أو هي ضاعت منه، فكتبت رواية عنوانها: (الأب الضائع)، وهي أكثر ما كتبت شهرةً.

ولم تلتقِ منى أباها إلا منذ ١٠ سنوات بعد أن انفصل عن أمها، وهي في الخامسة من عمرها. والتقت أخاها ستيف أول مرة عندما كان عمره ٢٧ سنةً، وكانت على صلة به عبر اللقاءات والاتصالات الهاتفية. وتقترن منى منذ عام ١٩٩٣م بالمنتج والكاتب التلفزيوني الأمريكي ريتشارد بيل، ولهما طفلان.

الولد سرّ أبيه

كرّر ستيف فعلة أبيه، وارتبط بأمريكية اسمها كريسان برينان من دون زواج، وأنجب منها طفلةً في عام ١٩٧٨م، سمّتها أمها ليزا، ورفض الاعتراف بأبوته لها إلا بعد مدة طويلة، وهي واحدة من ورثته الذين سيرثون مئات الملايين. وتزوج ستيف رسمياً في عام ١٩٩١م من الأمريكية لورين بويل، وله منها ٣ أبناء.

ولعلّ تخلّي والد ستيف المسلم ووالدته المسيحية عنه وهو طفل جعله يبحث عن ديانة غير ديانتيهما، فوجد ضالته في البوذية التي اعتنقها في شبابه بعد زيارته الهند.

للحياة وجهان

قدّرت مجلة فوربس ثروة ستيف جوبز في عام ٢٠١٠م بقيمة ٨,٣ مليارات دولار، وجاء في المرتبة ٤٢ بين أثرياء أمريكا. ومن يرى ذلك الشقاء الذي عاشه الطفل ستيف لا يمكن له أن يتخيّل ما حقّقه من صيت وغنى. ولا يتوقف الأمر عند ذلك؛ فهذا العالم العبقري لم يَنَلْ شهادةً جامعيةً، ولم يستمر في الجامعة غير ٦ أشهر. وكان رأي ستيف أنه لم يكن لديه تصوّر عن هدفه في الحياة، ولا عن دور الجامعة في تحقيق هذا الهدف، ويبدو أنه أشفق على والديه؛ لأنهما كان ينفقان مدخراتهما من أجل أن يتعلما، وبدا ستيف سعيداً بقرار ترك الجامعة، بل يراه أفضل قرار اتخذه في حياته.

وكان جوبز خلال دراسته المدرسية يحرص على العمل

خلال الإجازات، وكان اهتمامه كبيراً بالإلكترونيات، وعندما أظهر براعةً مبكرةً في الابتكار منحته شركة هوليت باكرد HP فرصة للتدرّب، فتعرّف فيها إلى المهندس الإلكتروني ستيف وزنياك، الذي أصبح شريكه فيما بعد.

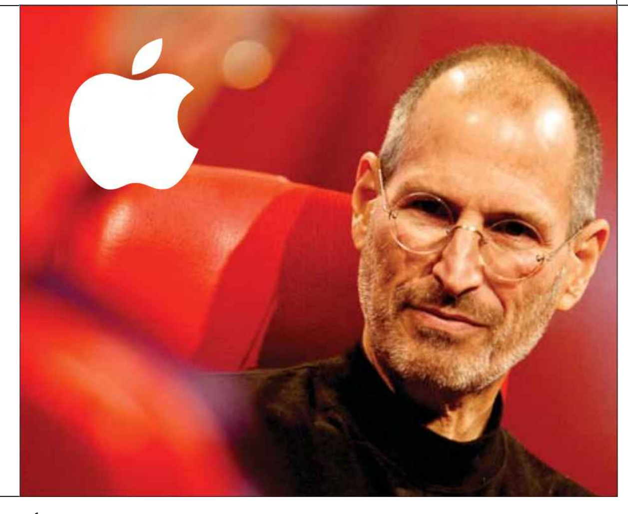
وعندما قرّر ستيف ترك مقاعد الدراسة بجامعة ريد في بورتلاند بولاية أرغون كان خياره تنمية مهاراته في المجال الذي أحبّه، واستطاع أن يثبت قدرته لشركة (أتاري) الأولى في صناعة ألعاب الفيديو التي منحته وظيفة مصمم ألعاب، ثم ترك جوبز عمله مسافراً إلى الهند حيث تحول إلى البوذية، وأصبح نباتياً إلى وفاته، ثم عاد ليتابع عمله في (أتاري).

أسّس ستيف جوبز مع ستيف وزنياك، الذي التقاه في عام ١٩٧٠م، شركة أبل في عام ١٩٧٦م. انطلق الاثنان في العمل، وأطلقا بعد مدة قصيرة (أبل ١)، ثم عملا على إنتاج حاسوب أكثر تعقيداً، وأسهل استخداماً، وكانا قد اجتذبا بعض المستثمرين، منهم مايك ماركولا -الرئيس التنفيذي السابق لشركة (أنتل)- الذي قرّر في عام ١٩٧٧م الاستثمار في (أبل)، وكان إطلاق (أبل ٢) معزّزاً موقع شركة أبل في إنتاج الكمبيوتر الشخصي. وذاق ستيف طعم الإخفاق عندما لم يجد (أبل ٣) الذي طرحته الشركة النجاح، بل اضطرت إلى سحب الكمية الأولى منه من السوق بسبب عيوب تقنية.

أدرك جوبز في أوائل الثمانينيات الإمكانيات التجارية لفأرة الحاسوب، وواجهة المستخدم الرسومية، فقامت أبل بصناعة حواسيب ماكنتوش، التي أطلقتها في عام ١٩٨٤م، وكان نجاح ماكنتوش مدوّياً في مواجهة منافسيه أنتل وميكروسوفت.

أدى تعرّض شريكه وزنياك لحادث طائرة إلى اعتزاله العمل، وتوجّهه إلى المشروعات الاجتماعية، وتدريس الكمبيوتر في مكتبه بكاليفورنيا. استقال جوبز من أبل بسبب صراع على السلطة مع مجلس الإدارة في عام ١٩٨٥م، وكان الوضع أقرب إلى الطرد، لكنه لم ييأس، ومن دون أن يلتفت كثيراً قام بتأسيس (نكست)، التي تخصّصت في تطوير منصّات الحواسيب في التعليم العالي والأسواق التجارية.

قام جوبز في عام ١٩٨٦م بشراء قسم رسوميات الحاسوب في شركة لوكاس فلم، وعُرف القسم باسم مَفنّات بيكسار



ستيف وتفاحة أبل



تفاعل العرب مع خبر وفاة ستيف جوبز، وأبدى كثيرون تعاطفهم، ووصل الأمر إلى السؤال عن جواز طلب الرحمة له

للرسوم المتحركة، وقد أصبحت الشركة إحدى كبرى شركات إنتاج أفلام الكارتون الثلاثية الأبعاد. وبقي جوبز مديراً تنفيذياً لبيكسار حتى استحوذت عليها شركة والت ديزني، وأصبح جوبز عضواً في مجلس إدارتها.

قامت أبل بضم (نكست) في عام ١٩٩٦م بـ٤٠٠ مليون دولار، وعاد جوبز إلى أبل، وأصبح المدير التنفيذي المؤقت في عام ١٩٩٧م براتب دولار واحد سنوياً؛ ليدخل بذلك كتاب الأرقام القياسية جينيس كأقلّ راتب في العالم لمدير تنفيذي.

وكانت انطلاقة الشركة بعد عودة جوبز من خلال طرح جهاز iMac، الذي استعادت به الشركة مكانتها في سوق الكمبيوترات الشخصية مرةً أخرى. وتولى جوبز منصب المدير التنفيذي الدائم في يناير عام ٢٠٠٠م، وكان يمتلك ٣٠ مليون سهم منها.

وأطلقت أبل في عام ٢٠٠١م جهاز iPod، الذي تميّز بصغر حجمه، وأناقة تصميمه. وبعد ست سنوات؛ أي: في عام ٢٠٠٧م، أطلقت أبل الهاتف الجوال iPhone، الذي جمع بين البساطة والأناقة وسهولة الاستخدام وتوافر عدد كبير من الخيارات التقنية التي تلبّي احتياجات عصر الإنترنت والاتصال.

بعد تدهور صحته استقال جوبز من منصب المدير التنفيذي لشركة أبل، مع انتقاله إلى العمل رئيساً لمجلس الإدارة في ٢٤ أغسطس عام ٢٠١١م، مع توصية بأن يتولى تيم كوك منصب المدير التنفيذي.

لم تكن وفاة جوبز في ٥ أكتوبر عام ٢٠١١م مفاجئةً لمن كان على علم بمتاعبه الصحية التي بدأت منذ نحو ٨ سنوات، وكان تأثيرها واضحاً في معالم وجهه؛ إذ بدا متعباً وأكبر من سنّه في احتفالات أبل بإطلاق (آي فون) و(آي باد) وغيرهما من منتجاتها العملاقة.

وكان جوبز قد أجريت له في العام قبل الماضي عملية زراعة الكبد، فكان يتوارى مدةً عن الأنظار ليعود للظهور، حتى تم الإعلان عن إصابته بسرطان البنكرياس.

سيظلّ العالم يذكر صاحب التفاحة المقضومة ستيف جوبز، الذي أصبحت تفاحته واحدةً من أشهر التفاحات في العالم بعد تفاحة آدم، وتفاحة إسحاق نيوتن مكتشف قانون الجاذبية.

قريبة له تنسبه إلى الرسول الكريم

تفاعل العرب مع خبر وفاة ستيف جوبز، وأبدى كثيرون تعاطفهم، ووصل الأمر إلى السؤال عن جواز طلب الرحمة له، فقال أحد الشيوخ: إنه لا يجوز الترحّم على غير المسلمين. وربط آخرون بين أحداث سورية ووفاة ستيف، وكتبوا تعليقات ساخرة، وكانت المفاجأة الكبرى تلك التي فجّرتها خبيرة التجميل السورية دانية أديب الجندلي، المقيمة في بيروت منذ أكثر من ١٢ سنة، التي أوضحت أن والد جوبز هو ابن عمّ والدها من جدّ واحد، وأكدت أن الاسم الأصلي لستيف جوبز هو مصعب عبدالفتاح الجندلي، وأنه سليل شجرة الرسول صلى الله عليه وسلم والإمام الحسين رضي الله عنه، وأن ذلك مثبت في شجرة العائلة الموجودة في منزل آل الجندلي الرفاعي في مدينة حمص.

جاء ذلك في برنامج (سيرة وانفتحت)، الذي يقدّمه الإعلامي زافين قيومجيان على شاشة تلفزيون المستقبل. وأنكرت دانية أن يكون ستيف جوبز قد وُلد من أبوين غير متزوجين، مؤكدةً أنه شقيق الروائية والأديبة منى الجندلي المعروفة في الولايات المتحدة الأمريكية باسم منى سمبسون، التي زارت مدينة حمص منذ سنتين تقريباً، وتعرّفت إلى عائلتها وجميع أفراد آل الجندلي- الرفاعي في حمص، وحرصت على زيارة منزل والدها وجدّها في حمص، وأقامت في فندق السفير أكثر من ثلاثة أسابيع، تنقّلت خلالها في عدد من القرى والمدن القريبة من حمص.

وختمت دانية الجندلي حديثها بقولها: «قد يكون في كلّ بيت عربي ستيف جوبز، لكن أتمنى أن نكتشفه ونرعاه، وألا نراه مضطراً إلى السفر إلى أمريكا والغرب لنكتشف عبقريته».

ملامح الشبه

إذا عُدْنا إلى ملامح الشبه بين أوباما وجوبز التي بدأنا بها نخلص إلى أنهما ابنا بيئتهما التي لم يعرفا غيرها، وهي التي يظلّ هما وغيرهما يذكرونها بوصفها الوطن والملاذ، وأعني أمريكا، وما دون ذلك يصبح مجرد ذكريات وحكايات يتم تداولها؛ لعله يكون بين تضاعيفها حكمة مضمونها أن من جدّ وجد أينما كان، ومن أيّ نسب أتى.



«مجال نجد فيه التسلية واللهو لأولئك الذين يبتهجون بالسفر حول العالم:
باسيليكاتا في عيني».. ابن إدريس.

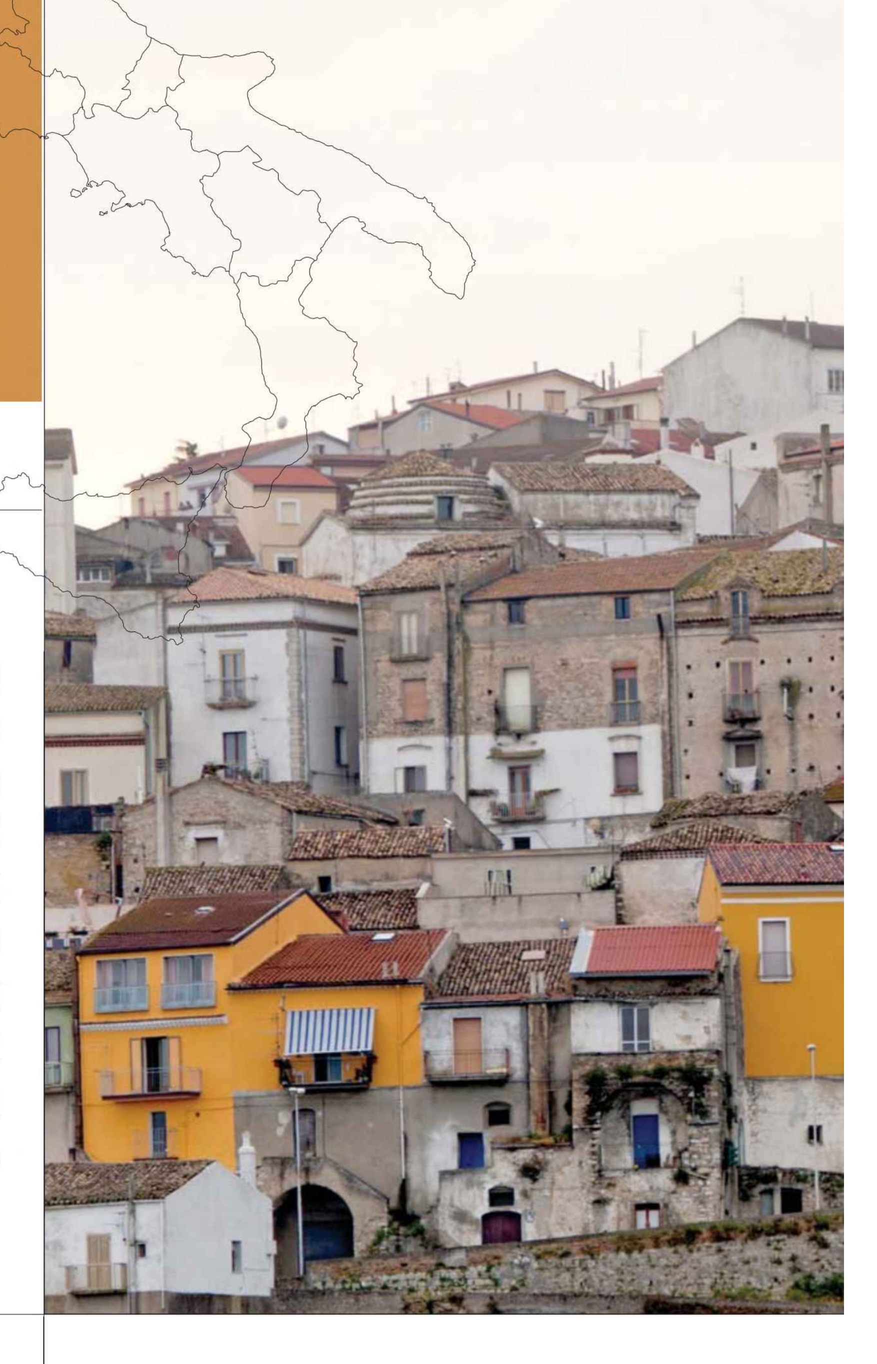
مقاطعة باسيليكاتا

في جنوب إيطاليا كما رآها الإدريسي

سارة ستراميلو

ترجمة: نعيم الغول

الرياض – السعودية



رحلة تاريخية عبر منطقة باسيليكاتا في جنوب إيطاليا تبحث في تراث الثقافة العربية عبر القرون، أثراها وصف الجغرافي ورسّام الخرائط العظيم أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن إدريس الحسيني الصقلي، الذي عاش في القرون الوسطى، والمشهور باسم الإدريسي. وقد ورد هذا الوصف في كتابه (كتاب روجر).

فيض من المناظر الطبيعية الجميلة في باسيليكاتا

> في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، قام العرب انطلاقاً من أبيوليا المجاورة بعدة غزوات في باسيليكاتا، وكان ذلك جزءاً من برنامج توسعي للدولة الإسلامية

باسيليكاتا، المعروفة أيضاً باسم لوكانيا، منطقة صغيرة في جنوب إيطاليا لم تنل الاهتمام الكافي كما نالته بقية مناطق إيطاليا منذ قرون. إنها جوهرة صغيرة اكتشفها بضعة رحّالين سلكوا السبل المألوفة، ووقفوا في حبّ مناظرها الكثيرة الفاتنة. ونستشهد في هذا المجال بما قاله فرانسوا لينوما، الذي كتب في مفكّرته عن رحلته إلى لوكانيا عام ١٨٨٣م الوصف الآتي: «يوجد هناك بجانب إيطاليا المعروفة للجميع، لدى التنقيب عميقاً في جهة الجنوب، إيطاليا أخرى غير معروفة، لكنها ليست أقلّ إثارةً للاهتمام من إيطاليا المعروفة، وليست أقلّ جمالاً في مناظرها الطبيعية، وتماثلها في العظمة التاريخية».



شيء من التاريخ

في الواقع، مع أن باسيليكاتا صغيرة في حجمها إلا أنها تزخر بفيض من المناظر الطبيعية الجميلة التي لم يُمسّ معظمها حتى

الآن؛ إذ لا يزال تراث السكان القدماء الذين مرّوا بها موجوداً ومبعثراً في أراضيها. هذا الكنز الخفيّ وصفه الجغرافي ورسّام الخرائط العظيم الإدريسي، وكان وصفه أول وصف يتّسم بالدقة والشمول، وهو متاح للرحّالين في القرون الوسطى، ومُدعم بالخرائط والمدوّنات حول الموارد المتوافرة في تلك المنطقة.

قطن الإنسان باسيليكاتا منذ العصر الحجري القديم، ووجد في هذه المنطقة المأوى والطعام. وقد نعمت هذه الأرض بالأنهار والبحيرات، كما كانت مغطاةً بالأشجار، فوفّرت هذه البيئة سبل العيش لكثير من الحيوانات؛ مثل: الفيلة، ووحيد القرن، والنمور، لكنها انقرضت في الوقت الحاضر.

أما المناظر الطبيعية، فكانت - بشكل رئيس - على هيئة صخور رسوبية؛ مثل: الصخور الجيرية، والرملية، وبها كثير من الكهوف التي كانت تشكّل مأوى للصيادين وجامعي الصيد.

أما الرعاة البدو الذين كانوا يلتقون بشكل متكرر بحثاً عن الكلأ والمرعى، فقد بنوا ثقافة جبال الأبينين، كما تكرر التقاؤهم الثقافات الأخرى لبلدان حوض البحر الأبيض المتوسط.

ومع دخول العصر الحديدي (القرون التاسع والثامن والسابع قبل الميلاد)، وتزايد الأعمال التجارية والتحالفات، أصبح اتصال الأترورين والفينيقيين بالسكان الأصليين شيئاً عادياً، وأدت كلّ هذه التبادلات إلى أساس ثقافة موحّدة في جميع أنحاء باسيليكاتا والمناطق المجاورة لها، وقد أطلق الإغريق اسم (إنوتريا) على هذه الثقافة. وبدءاً من القرن السابع قبل الميلاد وصل أول المستعمرين الإغريق بحثاً عن أراضٍ خصبة ليزرعوها، وأنشؤوا بلدة سيريس على تلة بين مصبّي نهري أجري وسيني، إلا أن ذلك الاستيطان كان غير منتظم، وكانت وسيلة الدفاع عنه جداراً بسيطاً من الآجرّ، ومن دون معالم مقدسة، فأحدث ذلك الاستيطان مقبرةً كبيرةً في الأودية المنحدرة.

وفي الشمال، وعلى امتداد الساحل، أنشأ الناس الآتون من بيلوبونيوس بلدة ميتابونتو في عام ٦٤٠ ق. م، وكانت بلدةً غنيةً مخطّطاً لها جيداً، وبها عدة معابد ومبانٍ عامة مدهشة.

وكان لتلكما البلدتين تأثير كبير، وتبع ذلك ازدهار التجارة والزراعة، وتطوير منتجات فنية ذات خصائص عالية، خصوصاً في مجال صناعة الخزف. وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد دمّر سكان كروتون الواقعة في مقاطعة كالابريا المجاورة بلدة سيريس، كما أنشؤوا تآلفاً بين تارانتو وثوري بلدة هيراقليا عام ٤٣٣ ق. م. لقد كانت هيراقليا بلدةً مهمةً تحميها أسوار ضخمة، وبها منازل ثريّة مزينة بأروقة وأرضيات من الفسيفساء، وكانت تتكون من ساحة بها مبانٍ عامة، ومنطقة مقدّسة بها معابد ضخمة.

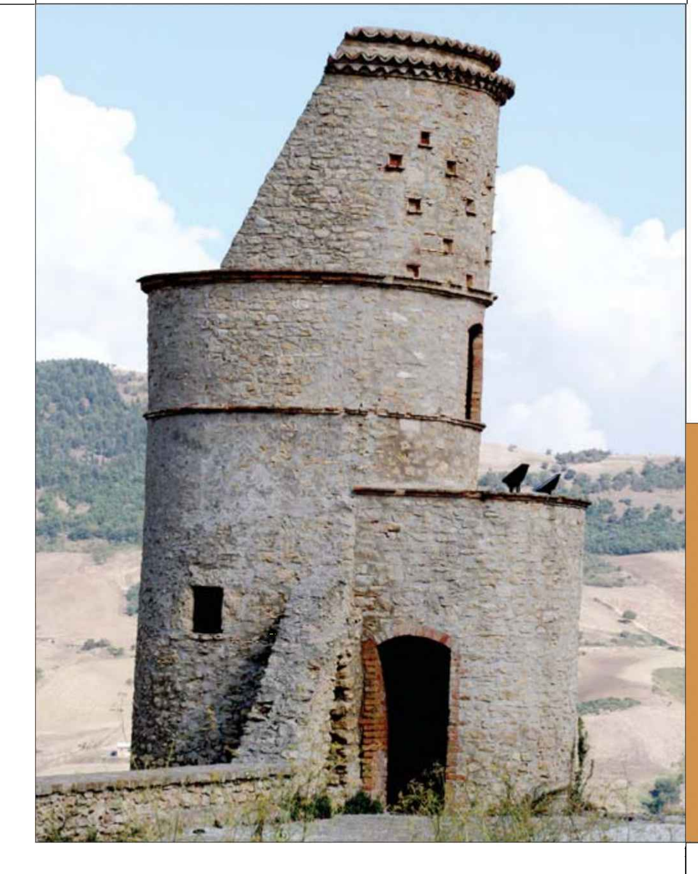
وفي نهاية القرن السادس قبل الميلاد بدأت هجرة كثيفة من سكان منطقة سامنييم في وسط إيطاليا، فكوّنوا جماعة عرقية جديدة قوية جداً، هي جماعة اللوكانيين. وأُطلق في هذه الحقبة اسم لوكانيا أول مرة لوصف هذه المنطقة، وربما جاء الاسم من الكلمة اللاتينية لوكوس Lucus، التي تعني (غابة)، وكانت هذه المنطقة في الواقع مغطاةً بالأشجار، أو من كلمة لك Luc، التي تعني الضوء؛ لأن المحاربين الغزاة تعقّبوا ضوء الشمس.

وبدأ اللوكانيون بالتعامل مع السكان الأصليين، وتقدموا معاً للاستيلاء على بلدان إغريقية قوية ومحصّنة جيداً، مثل بلدتي بوسيدونيا ولاوس. وفي العقود التالية تدبّر اللوكانيون أنفسهم لتهديد المدن القوية على ساحل جونيا أيضاً؛ مثل: تارانتو، وميتابونتو، وهيراقليا، وثوري، منشئين (لوكانيا الكبرى)، التي امتدت حدودها من نهر سيلي إلى مدينة ثُوربي.

لقد كان المجتمع اللوكاني في الواقع شكلاً من أشكال

مناظر طبيعية خلابة في باسيليكاتا





الديمقراطية، مع أن الأقلية هي التي حكمته؛ إذ اختير ملك من باسيليكي في حالة الحرب، وكان يتسلّم زمام السلطة في أوقات الأزمات. وفي أواسط القرن الرابع قبل الميلاد واجه اللوكانيون ثورة سكان المنطقة الجنوبية الغربية، الذين كانوا يُطلق عليهم اسم (بريتيانز) أو (بروتي)، حتى انفصلا انفصالاً تاماً. وفي نهاية القرن الرابع، وخلال القرن الثالث قبل الميلاد، انخرط اللوكانيون، سواء بطريقة مباشرة أو بوصفهم مرتزقة، في سلسلة من الحروب الرامية على جبهات متعددة، خصوصاً ضد روما التي تسبّبت بإفقار المنطقة؛ مما أدى إلى هجرة كثير من المستوطنات القديمة.

لقد برزت القوة التنظيمية والعسكرية لروما في أثناء المشهد التشنجي الذي وسم القرن الثالث قبل الميلاد في جنوب إيطاليا. وتحت الحكم الإيطالي استخدم نظام العِزَب الكبيرة للرعي أو زراعة الحبوب بشكل كبير، لدرجة أنه تسبّب بظاهرة إفقار خصوبة التربة. وإضافةً إلى ذلك، استنزف الرومان ببطء الموارد الغنية، وهي الغابات المتوافرة في المنطقة؛ لبناء السفن من أجل برامجهم التوسعية.

وفي القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد تطوّرت مدينتا فينوسيا وجرومينتوم تطوراً هائلاً؛ حتى أصبحتا محلّ جذب شعوب تلك البلد. أما هيراقليا وميتابونتوم، فقد ازدهرتا قليلاً حتى القرن الأول الميلادي.

وقد اجتثت أنماط العبادات القديمة تحت الحكم الروماني، واستبدلت اللغة اللاتينية باللغة الأوسكانية – السابيليانية، كما أصبح الهيكل الاجتماعي القديم هيكلاً اجتماعياً رومانياً في بقية المنطقة أيضاً، وبُنيت الطرق، وكان أهمها طريق أبيا التي استمرت قروناً، حتى اندمجت بالطرق السريعة الحديثة.

وخلال القرنين الثاني والثالث الميلاديين، أسهم القطع الجائر لأشجار الغابات، والضرائب غير المحتملة، وقصر نظر من يقومون على إدارة العِزَب، في إفقار هذه المنطقة. كما مهّد استياء الناس والضغط الأجنبي الهمجي على الحدود الشمالية الطريق ببطء لسقوط روما. وبدأت لوكانيا تعاني حقبة قاتمة جداً مع الغزوات الأجنبية الهمجية (البربرية).

خلال القرن السادس الميلادي، أخذ سكان لوكانيا يهجرونها، وتحوّلت إلى منطقة فقيرة، في الوقت الذي اندلعت فيه الحرب بين القوط والبيزنطيين. ومع الانتصار البيزنطي لم يحتفظ



باستقلالهم الذاتي التنظيمي والاقتصادي إلا البينديكتيون والمجتمعات الرهبانية الباسيليكية الأرثوذكسية. وفي الواقع إن الحكم البيزنطي فرض نظاماً مالياً صارماً زاد من فقر تلك المنطقة، وأدى إلى أزمات عميقة وطويلة الأمد، على الرغم من الانهيار الاقتصادي والاجتماعي الشديد الذي عانته المنطقة نتيجة الاستغلال المستمرّ لمواردها، وعقود من اندلاع الحروب.

وهكذا، عندما قامت جموع غفيرة من البرابرة، وهم اللومبارديون من أصول جرمانية، بغزو إيطاليا عام ٥٦٨م، لم يواجهوا أيّ مقاومة في جنوب إيطاليا، فاختفت لوكانيا كمنطقة تحت حكمهم. ومع موت الأمير أريكي – أمير اللومبارديين – خلال اندلاع الحرب على وراثته بدأ المسلمون يتسلّلون إلى المنطقة.

العرب آتون

وخلال القرنين التاسع والعاشر الميلاديين، قام العرب انطلاقاً من أبيوليا المجاورة؛ إذ أنشئت في ميناء باري إمارة عربية في عام (٨٤٧- ٨٧١م)، بعدة غزوات في باسيليكاتا، وكان ذلك جزءاً من برنامج توسّعي للدولة الإسلامية التي كانت تحارب للسيطرة على الطرق التجارية في البحر الأبيض المتوسط، وكان قد سبق لها أن استولت بالكامل على جزيرة صقلية. ومع ذلك، ونتيجةً لتدخّل قوى سياسية، لم يحاول العرب الاستيلاء على باسيليكاتا؛ إذ كانت غزواتهم من أجل سلب الموارد، وأخذ الأسرى لبيعهم عبيداً في أسواق الدولة الإسلامية. وعلى الرغم من ذلك، فقد وجد كثير من المستوطنات العربية التي عاشت طويلاً؛ مثل: تورسي، وتريساريو، وبيتربيرتوسا؛ إذ تكامل العرب مع المجتمعات المحلية، وتبادلوا التجارة والمصنوعات اليدوية بعيداً من تصرّفهم بوصفهم حامية عسكرية؛ لذا خلّفوا تراثاً باقياً لهم.

تدخّل البيزنطيون لاحتواء توسّع المسلمين، واستطاعوا أن يعيدوا الاستيلاء على منطقة أبولا وبعض الولايات اللوكانية. وكان المجتمع القويّ، الذي شكّله رهبان باسيليكاتا خلال هذه الحقبة المظلمة من المجاعة وانتشار الأوبئة، حاسماً في استصلاح الأراضي، وإعادة توطيد الممارسات الزراعية التي كانت قد هُجرت من زمن بعيد، إضافةً إلى إعادة نقل المواد الخام الزراعية في الإنتاج الغذائي.

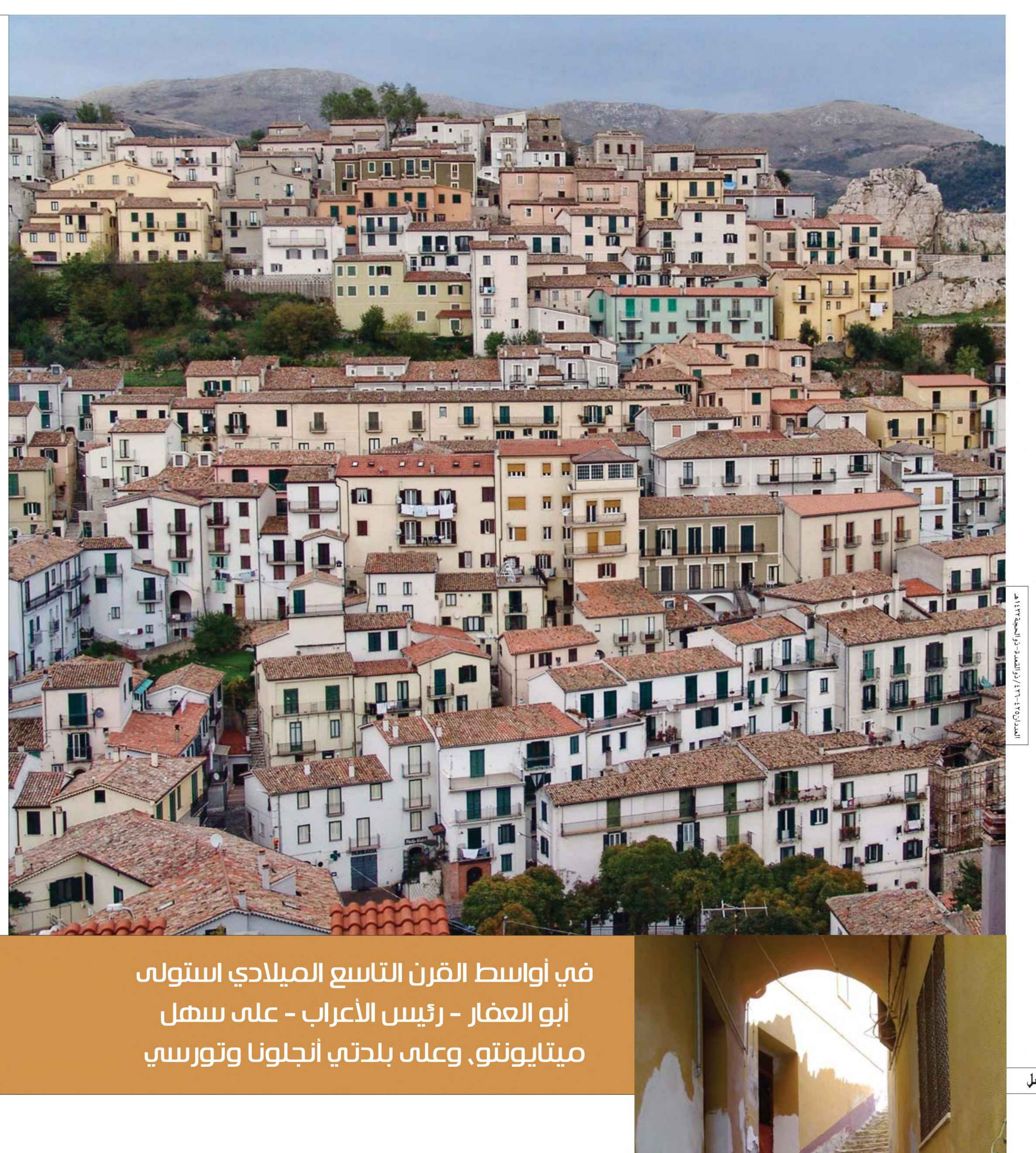
وبشكل عام إن القرن العاشر الميلادي شهد ببساطة معارك متتالية من الحرب بين جميع القوى، شملت: اللومبارديين، والبيزنطيين، والساكسون، وغزوات المسلمين.

وباستغلال الفوضى والارتباك اللذين حلاّ في كل مكان برزت جماعة جديدة من المحاربين، هم النورمانديون، الذين دخلوا هذا المشهد. وقد انحدر هذا الشعب أصلاً من شعب الفايكنج الإسكندنافيين؛ لذلك فإن اسمهم (رجال من الشمال)، وسبق لهم أن احتلوا معظم شمال أوربا وشرقها. واستقرّت مجموعة من النورمانديين في منطقة نورماندي، وأخذوا يتحدثون اللغة الفرنسية، واعتنقوا النصرانية، ثم بدؤوا بالتحرك نحو الجنوب بحثاً عن أراضٍ يستعمرونها. وفي الواقع، سبق للنورمانديين استكشاف جنوب إيطاليا خلال أدائهم الحج في الأراضي المقدسة، وبعضهم كان قد استقرّ في إيطاليا.

وفي عام ١٠٣٥م وصلت أسرة أوتفيل لأداء الخدمة العسكرية مع المرتزق النورماندي دينغول دريجنوت، الذي شغل منصب أول كونت لمقاطعة أفيرسا، ووضع أسس الحكم الذي امتد طويلاً وتمتّع به هؤلاء الناس. بدأت أسرة أوتفيل ببطء بنسج شرك ذكي وإستراتيجي أدى بهم إلى الاستيلاء على كل جنوب إيطاليا، وأصبحت بلدة ميلفي في منطقة فولتشر تحت حكمهم مركزاً للنشاط السياسي في جنوب إيطاليا، وعاشت منطقة باسيليكاتا عهداً ذهبياً استمر قرنين من الزمان.

اعترف البابا في عام ١٠٥٤م بأن روبرت أوتفيل هو دوق أبولا وكالابريا، وكونت صقليا. وفي عام ١٠٧٢م، شمل التوسّع النورماندي صقلية التي كانت تحت الحكم العربي منذ عام ٨٣١م، كما امتد حكم النورمانديين إلى ساليمو عام ١٠٧٦م. ومع

أنشأ روجر الثاني حكماً قوياً وساطعاً في كل جنوب إيطاليا، وكان مركز الثقل السياسي والثقافي في مدينة باليرمو في صقلية



في أواسط القرن التاسع الميلادي استولى أبو العفار - رئيس الأعراب - على سهل ميتابونتو، وعلى بلدتي أنجلونا وتورسي

وفاة روبرت عام ١٠٨٥م انتقل الحكم بعد عدة تقلّبات إلى ابنه روجر الأول، الذي جعل البابا يعترف به ملكاً لمنطقة أبولا. ومع وفاة روجر الأول عام ١١١١م انتقل الحكم إلى دوق صقلية روجر الثاني، الذي توّج فيما بعد ملكاً على أبولا، وكالابريا، وصقلية.

أنشأ روجر الثاني حكماً قوياً وساطعاً في كل جنوب إيطاليا، وكان مركز الثقل السياسي والثقافي في مدينة باليرمو في صقلية. ونمت هناك ثقافة مشتركة عربية- نورماندية، والفضل في ذلك يعود إلى روجر الثاني، ثم ابن أخيه فيدرك الثاني حاكم صوابيا، الذي أصبح الإمبراطور الروماني المقدس. وكان روجر الثاني يتحدث العربية بطلاقة، كما كان مغرماً بالثقافة العربية، وقد استخدم قوات وآلات حصار عربية في حملاته في جنوب إيطاليا، وحشد معماريين عرباً لبناء مبانٍ تذكارية بطراز عربي- نورماندي، هي تلك المباني النمطية في جنوب إيطاليا. كما حافظ على تطور الأساليب الفنية الزراعية والصناعية التي أدخلها العرب إلى صقلية خلال القرنين الماضيين؛ مما أتاح الفرصة للتمتّع بالحكم النورماندي- الصوبياني حتى عام ١٢٥٠م.

وبدأت أخيراً باسيليكاتا تستعيد عافيتها تحت الحكم النورماندي، وأُدخل نظام تشريعي موحّد لنظام الحكم، كما تم خلال ذلك العصر بناء القلاع والكاتدرائيات والأديرة التي لا تزال تثير الإعجاب بفخامتها وعظمتها. وبالتأكيد إن مدى الحماس الصقلي - النورماندي لعلم الجغرافيا مارس تأثيراً غير مباشر في نمو المعرفة الجغرافية؛ ذلك التأثير الذي جعل من نفسه شيئاً محسوساً حتى بعد نهاية عصر الحروب الصليبية. وقد أنتج ذلك الحماس تمازجاً بين الأعراف العربية العلمية والمعرفية والتجربة النورماندية البحرية في جزيرة احتلت وضعاً مركزياً وإستراتيجياً في العالم في ذلك العصر. لقد نشأ هذا الحماس جزئياً من الحب الخالص للمعرفة، لكنه نشأ أيضاً - إلى مدى بعيد - من الضرورات العملية لشعب غرس في فنون البحر وصناعته، وعمل في وقت مبكر على وضع حلول لمشكلات الملاحة.

الإدريسي على مسرح الأحداث

ومع الوصول إلى الحقبة التاريخية التي ظهر فيها الإدريسي على مسرح الأحداث سأقطع هذا المشهد التاريخي العام، وأبدأ بالتعريف به. وُلد ابن إدريس، المعروف أيضاً باسمه القصير الشريف الإدريسي، في سبتة بإسبانيا[1] عام ١٠٩٩م، ويعدّه بعض العلماء أعظم الجغرافيين ورسّامي الخرائط في العصور الوسطى. تلقّى الإدريسي تعليمه في قرطبة، وكما كانت عادة الجغرافيين المسلمين سافر إلى كثير من الأمكنة النائية، بما في ذلك أوربا؛ لجمع بيانات جغرافية. ولفتت كفاءة الإدريسي وشهرته انتباه روجر الثاني - ملك صقلية النورماندي - فدعاه إلى قصره في باليرمو.

لقد حافظ الفاتح النورماندي على كثير من أفضل العادات والتقاليد العربية وثقافتها، كما أدّى العلماء المسلمون دوراً نشيطاً في الحياة الفكرية في قصر روجر الثاني؛ إذ كان روجر الثاني يشجّع العلم وجميع مجالات التعلّم الأخرى بشكل كبير جداً، كما كان هو نفسه مهتماً جداً بعلم الجغرافيا، قاضياً كثيراً من وقت فراغه في جمع المقالات الجغرافية العربية، والاستفسار من الرحّالين عن الأراضي البعيدة، وكتب عنه الإدريسي: «لقد كان مهتماً بالرياضيات والمجالات السياسية بشكل كبير جداً لا يمكن وصفه، ولا توجد أيّ حدود لعلمه في العلوم؛ إذ درس العلوم من جميع جوانبها بكلّ عمق وحكمة، كما أنه توصّل إلى ابتكارات مفردة، واختراعات رائعة، بطريقة لم يصل إليها أيّ أمير قبله».

كانت باليرمو من أكثر أمكنة التقاء البحارة، والتجار، والحجاج، والصليبيين، والعلماء من جميع البلدان؛ لذلك فإنه ليس غريباً أن تبلورت في قصر روجر الثاني فكرة تأليف كتاب وعمل خريطة بالاستعانة بجميع هذه التقارير المتنوعة؛ لذا دعا الملك روجر الثاني الإدريسي إلى قصره، وطلب منه تأليف كتاب يحتوي على جميع البيانات المتاحة عن طول البلاد وعرضها، والمسافات بينها، وتوزيعاتها في المناطق المناخية. ويبدو أن الملك والإدريسي استعانا - إضافةً إلى علم الإدريسي ومعرفته الشخصية - برجال أذكياء معيّنين، أُرسلوا في رحلات يرافقهم فيها رسّامون. وفور عودة أولئك الرحّالين كان الإدريسي يُدخل في مقالاته العلمية المعلومات التي كانت تُنقل إليه، وكان يتم تصنيف جميع هذه البيانات وربطها بالمشاهدات على الطبيعة ومن مصادر الجغرافيين أمثال بطليموس والجغرافيين العرب والإغريق الأوائل، ثم يتم تحديثها. وقد استغرق تأليف هذا الكتاب وخرائطه خمس عشرة سنة، وكان من أكثر المعالم إثارةً للاهتمام في علم الجغرافيا العربي. إضافةً إلى

ذلك، فإن هذا الكتاب هو أكثر المؤلفات الجغرافية غزارةً وتفصيلاً خلال القرن الثاني عشر في أوربا.

كما أنجز الإدريسي أيضاً كرةً مصنوعةً من الفضة تزن ٤٠٠ كيلوجرام، سجّل عليها بدقة متناهية القارات السبع بطرقها التجارية، وبحيراتها، وأنهارها، ومدنها الرئيسة، وسهولها، وجبالها، وضمّنها معلومات عن المسافات والأطوال والارتفاعات التي تتلاءم مع ذلك، لكن – للأسف – فُقدت هذه الرائعة الفنية.

كتاب روجر

وفي عام ١١٥٤م، وقبل بضعة أسابيع من وفاة الملك روجر الثاني، اكتمل العمل في مخطوطة هذا الكتاب باللغتين اللاتينية والعربية، مع الخريطة المستطيلة الشكل التي رُسمت على سبعين صحيفة من الورق، مع خريطة صغيرة مستديرة للعالم، وأطلق الإدريسي على هذا الكتاب اسم (كتاب روجر)، وعلى الخريطة (لوحة روجيريانا).

لقد كانت خطة هذه المقالة العلمية بسيطةً، مع أنها كانت مقالةً صناعيةً مُتكلّفة إلى حدٍّ ما. دخل الإدريسي، بعد وصف موجز للأرض بوصفها الكرة الأرضية، ونصف الكرة الأرضية، والمناخات، والبحار، والخلجان، في أوصاف طويلة ومفصّلة لمناطق سطح الكرة الأرضية وأقاليمها؛ فقد صنّف المناخات السبعة في الترتيب مقسّماً كل مناخ عشرة أقسام طولية أو أجزاء، وكانت الترتيبات الصناعية قد بدأها في وقت مبكّر الفلكيون المسلمون، ووُصفت هذه الأقسام السبعين بدقة، مع توضيح كلّ قسم بخريطة مستقلة، وعندما تُوضع هذه الأقسام معاً تكوّن خريطة مستطيلة للعالم مشابهة للتصميم الذي قام به بطليموس.

يطلق الإدريسي على منطقة باسيليكاتا في (كتاب روجر) اسم (بلاد أنقوبارده)؛ أي: بلاد اللومبارديين، ويحدد مكان المنطقة في القسم الثالث من المناخ مع أبوليا. كما يذكر بلدان تورسة (تورسي)، وبوتانسية (بوتينزا)، وماتيره (ماتيرا)، وأرجونلو (جروتولي)، ومالف (ملفي)، وأرنانة (أريانو). ويصف الإدريسي في كتابه أنهار هذا القطاع الرئيسة، ويعدّد البلدان الرئيسة، محدداً مواقعها، والمسافات النسبية بينها.

يشمل القطاع الثالث من المناخ الخامس أراضي كالابريا ولانجوباردیا (الولايات اللومباردية)، والقسم الأعظم من خليج فينسيا (البحر الأدرياتيكي)، بما في ذلك البلدان المشهورة على ساحل ذلك البحر. وتجري في هذه المناطق مجموعة من الأنهار الرئيسة بأقصى دقة ممكنة؛ منها: نهر سينيسي (سيرابوتامو)، الذي ينبع من جبال كاربوني، ثم ينساب بين كالفارا وكاسترونوفو،

حضور عربي واضح في باسيليكاتا





ويلتقي مع نهر سينو، ثم يجري على امتداد فافالي (فالسيني حالياً)، ثم على امتداد سانت بارد كمايره، ويجري من هناك باتجاه البحر. وينبع نهر بوتينزا، ويسمى باسينتو، من جبل بالقرب من بوتينزا، ويجري على امتداد بلدة تسمى تريكاريكو ماراً بأراضيها، ويجري من هناك إلى بلدة تُعرف باسم جروتولي باتجاه ليفانت، ثم ينثني إلى شرق بلدة تسمى ميجليونيكو، تاركاً هذه البلدة خلفه بعد مسافة أربعة أميال ونصف الميل، ومن هناك يجري باتجاه كنيسة القديس ثيودور، ثم أمام مكان يطلق عليه بحيرة بانتانو، جارياً إلى اليسار منها، ثم نحو البحر.

ويجري نهر برادانو من دون أن تمتزج مياهه بمياه نهر باسينتو؛ لأنه ينبع أولاً ثم يتفرّع إلى فرعين صغيرين وسط بلدتين: الأولى هي لوكبارة، والثانية هي بوتينزا. ويجري هذان الفرعان نحو قلعة جيوليانو، فيلتقيان ثانيةً ويصبح اسمهما برادانو، وبهذا الاسم يجري بين أراضٍ زراعية حتى البحر. وتوجد على ضفتي هذا النهر أشجار كثيفة من الصنوبر التي تُقطع وتُنقل في اتجاه مجرى النهر إلى البحر، كما يُستخرج أيضاً القار والزفت اللذان يستخدمان في صناعة السفن لبلدان متنوعة.

ولا يمرّ نهر أجري في الواقع بين سانت آركانجيلو وتورسي، وإنما يمرّ مقابل كلّ منهما، على مسافة ميل ونصف الميل من تورسي، وأقرب من تلك المسافة بكثير من سانت آركانجيلو. وإضافةً إلى ذلك، فإنه يجري من تورسي إلى مونتيمورو مسافة اثني عشر ميلاً. ويمرّ نهر أجري على امتداد مساره خلال هذه الأرض. وينبع نهر أجري من جبل مارسيكو؛ أي: جبل بييترا مورا، الواقع على بعد ثمانية عشر ميلاً من هذه المدينة، ويصل من مارسيكو إلى تورسي وسانت آركانجيلو كما سبق ذكره.

وينبع نهر لاينو أولاو من أمام ميركورو، ومن هناك إلى المنطقة المقابلة سكاليا، ومن هناك إلى البحر. أما نهر ريفيلو، فينبع من تلّة، ثم يجري باتجاه كاستروكوكارو وماريتيا، ومن هناك يجري إلى البحر. والمسافة بين سكاليا والنهر هي ستة أميال، بينما المسافة من ذلك النهر إلى ماريتيا هي ميل واحد.

ومن بين بلدان كالابريا: كاتانزا، ومارتيرانو، وفيجيانو، وكاستروفيلاري، وبينيفينتو، وميلفي، وكونزا، وفينورا، وسانت أجاتا، وتشارومونتي، وسينيسي، وبيسيجنانو، وسيميري، وسترونجولي، وتريكاريكوو، وأسيرينزا.

ومن بين بلدان لانجو بارديا: ميتيرا، وسيرجنولا، وموتولا، وجرافينا، وكانوسا، وأسكوبي أوف ساتريانو، وسانت تورينزو، وسانت أنجيلو، وليزينا، وكامبو مارينو، وتيرمولي.

ويجب أن نتتبّع حدود جميع البلدان والقرى، وأن نصف أكثر الأشياء الجديرة بالملاحظة، والسبل والأمكنة غير المعروفة، وكثيراً من الأشياء الغريبة، والحالات المفضّلة وفقاً لأعرافنا.

والآن سنقوم بوصف هذه البلدان، متناولين حالاتها، وظروفها، وطرق اتصالها، بالأسلوب الذي تبنّيناه حتى الآن في المناخات المتنوعة السابقة الذكر.

إن العدد الأكبر من هذه البلدان، إن لم يكن جميعها، يقع ضمن أراضي كالابريا وأبوليا؛ لذلك فإن هاتين المقاطعتين تُعدّ كلّ منهما عدة بلدان. جميع هذه البلدان هي بلدان صغيرة، لكنها مأهولة، ولها أسواقها وتجارتها، كما أنها جميعاً متماثلة بشكل كبير في صفاتها وسماتها وأحوالها.

الحضور العربي في باسيليكاتا

عندما دوّن الإدريسي بلدان باسيليكاتا القديمة كان يعرف بالتأكيد المستوطنات العربية التي يعود تاريخها إلى القرن التاسع الميلادي، لكن لا يوجد وصف مفصّل لهذه البلدان في كتابه؛ لذلك فإني أودّ الآن أن أصف التراث المعماري القوي الذي لا تزال بعض تلك البلدان تحتفظ به على مدى خمسة قرون من التأثير العربي في التراث التاريخي والفني لتلك المنطقة. وكما يمكن الاستدلال من وجهة النظر العامة التاريخية الأولى التي سبق أن سردتها فإن

يطلق الإدريسي على منطقة باسيليكاتا في (كتاب روجر) اسم (بلاد أنقوبارده)؛ أي: بلاد اللومبارديين



راباطان.. تصميم مغربي أصيل

دعا الملك روجر الثاني الإدريسي إلى قصره، وطلب منه تأليف كتاب يحتوي على جميع البيانات المتاحة عن طول البلاد وعرضها، والمسافات بينها

أقدم الأمثلة المعمارية للحضور العربي في باسيليكاتا هي حصون مبنية على أراضٍ مرتفعة وقلاع إستراتيجية في حقبة كان فيها البيزنطيون واللومبارديون والعرب يتقاتلون للسيطرة على تلك المنطقة. وقد تركّزت تلك المستوطنات في منطقة بوتينزا، وعلى امتداد طرق المياه الرئيسة للمنطقة، وهي: برادانو، وباسينتو، وسيني، وأجري. ويجب أن نذكر هنا أن أُولى المستوطنات كانت نتيجة الغزوات والغارات المتكررة التي كان يقوم بها البدو العرب والقوات العربية الآتية من شمال إفريقية وصقلية خلال القرن التاسع الميلادي، مع أنهم كانوا يُسمّون بشكل جماعي في العصور الوسطى: الأعراب Saracens.

ومن بين أشهر هذه الأمثلة الدفاعية القديمة: تورسي، وتريكاريكو، وبييترا بيرتوسا، مع أن كاستيلساراسينو وأبريولا وبيسكو باجانو كانت في الأصل قلاعاً للأعراب أيضاً. ومع ذلك، كان التأثير العربي في البلدان الثلاثة السابقة قوياً جداً، واستمر طويلاً لدرجة أنها لا تزال تحتفظ بالتخطيط والتصميم الأصلي وباسم (راباطانا) المأخوذ من الكلمة المغربية (رباط)، وهو اسم مشتق من: ربط، يُرابط؛ بمعنى: يقيم في المكان ويبقى فيه. لقد وُلدت كلمة (راباطانا) مخفراً محصّناً صغيراً، لكنه أصبح مع الزمن مستوطنات عربية. ومن دون شك، فإن أكثر راباطانا شهرةً في باسيليكاتا هي بلدة تورسي، التي أنشئت من الناحية الإستراتيجية للسيطرة على أودية نهري سيني وأجري على طول الطريق التي تصل إلى الخليج الأيوني. وفي أواسط القرن التاسع الميلادي استولى أبو العفار Apolaffar - رئيس الأعراب - على سهل ميتايونتو، وعلى بلدتي أنجلونا وتورسي. وعقب ذلك الهجوم لجأ معظم سكان أنجلونا إلى بلدة تورسي القريبة، وكانت المرتفعات الشديدة الانحدار التي تحيط بالمستوطنة الصغيرة تمثّل موقعاً مثالياً لقلعة محصّنة. وحقيقةً، كان القوط قد سبقوا الأعراب إلى بناء قلعة في القرن الخامس الميلادي على قمة تلك التلّة على ارتفاع ٣٤٦م فوق سطح البحر، وقام الأعراب بمزيد من التحصينات للمستوطنة، فتطوّرت القرية وفقاً للتكوين النمطي لحيّ مغربي بشوارعه الضيقة، وممرات تحت الأرض، وقناطر متقاطعة. وبُنيت المنازل متجاورةً ومتواصلةً معاً، ولها نوافذ جانبية وكوّات طولية قوسية تتيح لقاطني هذه المنازل التحكّم في الخارج من دون أن ينكشفوا من الداخل. ولم تصل الممرات الضيقة والمنحدرة إلا إلى أطراف الأحياء المسكونة، مع حواجز متوالية متحدة المركز تقريباً نحو قمة التلة، فكان نظاماً دفاعياً تمّ تحصينه بمزيد من بوابات الحراسة. وكان كلّ ممرّ ضيّق يمرّ تحت قنطرة خلال المنازل تقريباً؛ مما يتيح التصرّف بسرعة من مركز عالٍ في حالة حدوث هجوم. وعلى الرغم من ذلك، فقد تدبّر البيزنطيون أمرهم في عام ٨٩٠م، واستطاعوا إعادة الاستيلاء على تورسي، وانتقل المسلمون نحو الشمال والشرق؛ ليعيدوا تجمّعهم مع القوات العربية الأخرى.

كاثوليكي يعتنق الإسلام

ويمكن مشاهدة بلدة بليترا بيرتوسا من بعيد من حديقة جاليبولي كوجناتو من ارتفاع يزيد على ألف متر فوق سطح البحر مقابل جبال الحجارة الرملية لرخام لوكانيا. وقد استقرّ العرب هناك في القرن التاسع الميلادي تحت حكم بومار Bomar - رئيس الأعراب. والفضل يعود في ذلك إلى لوكاس - رئيس الجامعة البيزنطية - الذي انتفض ضد الحكم البيزنطي في باسيليكاتا، ومع أنه كان إغريقياً كاثوليكياً إلا أنه اعتنق الإسلام، وأصبح حليفاً للعرب، واستولى على كثير من المراكز في تلك المنطقة، وحكمها لمصلحتهم بما فيها تريكاريكو وأبريولا.

وهكذا، احتفظت بيينزا بيرتوسا بتأثير غربي قويّ اتّضح في حيّ أراباطا أو راباطانا، الذي يقع في أعلى جزء في المدينة، ويلتصق بوجه صخرة شديدة الانحدار، فكان الدفاع عنها أمراً يسيراً، والفضل يعود إلى الممرات والأزقة غير النافذة المحكمة التي يمكن سدّها بيسر وسهولة. لقد كانت المباني القديمة، التي تشبه القلاع الصغيرة، مربعة الشكل من دون نوافذ مع فتحات ضيقة على جوانبها، وكان يوجد على أحد الجوانب مدخل الباب، بينما يوجد على الجانب المقابل فتحة صغرى تتيح الفرار في حالة حدوث هجوم. وللأسف، لم يبقَ من كلّ ذلك إلا آثار قليلة.

يُوجد في بلدة تريكاريكو حيّان متميزان، هما: راباطا، وساراسينا، وكل حيّ له بوّابته وبرجه، اللذان يعود تاريخهما إلى نهاية القرن العاشر الميلادي عندما استولى الأعراب على قرية صغيرة تقع على حافة ترتفع ٦٩٨م فوق سطح البحر، فقاموا فوراً ببناء مجمع من التحصينات محاط بأسوار عالية وقلعة ذاع صيتها في العصور الوسطى بسبب حدائقها العجيبة الرائعة، وبركها ونواعيرها المائية. وقد تطوّرت الأحياء السكنية بموجب التخطيط النمطي للقصبة، مقسّمة قسمين بشارع رئيس ضيّق تتفرّع منه دروب، وتتشابك معاً منتهيةً بزقاق. وكانت المنازل تتعانق حول الصخور، وتحفر بها جزئياً، وتُبنى بوسائل دفاعية خارجية قوية، مع أنها كانت موصولة مع المنحدر بحلقات متحدة المركز مع حدائق خضراوات وبساتين فاكهة.

ومن غير المعروف إذا كان العرب قد غادروا تريكاريكو نتيجة استعادة البيزنطيين امتلاك تلك المنطقة، ومتى كان ذلك.

ويُعتقد في الواقع أنهم تعاملوا مع السكان الأصليين، ومن الممكن أنهم فقدوا مضمون دينهم الأصلي.

وأخيراً، فإن بلدة أبريولا تبيّن السمة العربية؛ فقد شيّد الأعراب قلعةً محصنةً في هذا المكان الإستراتيجي المرتفع في القرن التاسع الميلادي من أجل حماية وادي فيومارا أوف أنزي. وكانت البلدة تحت حكم الأعرابي بومار، كما كان أيضاً أمير بيينزا بيرتوسا حتى تمّ تسليمها إلى سيريفو اللومباردي عام ٩٠٧م. ويتّسم حيّ كاماروني في المركز التاريخي بشبكة من الممرات الضيقة المعقدة، ومجموعة متواصلة من درجات سلالم، وهي مقوّمات نمطية لقرية صغيرة في العصور الوسطى ذات أصول عربية تشكّل البلدان التي ذكرناها؛ لأن القلاع والحصون المشهورة والأراضي الواسعة ملتقًى لجميع أنواع التجارة. إضافةً إلى ذلك، فإن أرضهم خصبة مثمرة، كما أنه بالوسع الاعتماد والثقة بتجهيزاتهم الدفاعية.

الخاتمة

مع أن الذكريات التي عرضناها، والوصف العام الذي قدّمناه، وصور البلدان التي وصفناها، تكفي لأن نحدّد الموقع الصحيح للبلدان، وترسم صورة مقبولة للحضور، إلا أنها مع ذلك ليست ذات فائدة لهم في فهم أحوال البلدان وظروفها، أو مظهر الناس، وزينتهم، وملابسهم، وطرق اتصالهم، أو أبعاد هذه البلدان بالميل والفرسخ، أو حتى الأشياء الرائعة لكل بلد من هذه البلدان التي لاحظ خصوصيتها وتميّزها الرحّالون، أو رواها ذوو المعرفة بتلك المناطق، أو أكّدها الكتّاب والمؤلفون.

الهوامش

(١) كانت سبتة في ذلك الوقت (عام ١٠٩٩م) مغربيةً، وليست إسبانيةً، واحتلّها البرتغاليون ثم الإسبان بعد قرون من ذلك التاريخ، فكان يجب على الكاتبة أن تقول عن الإدريسي: إنه وُلد في المغرب، وليس إسبانيا (المترجم).

قضايا

الجماعية في اليابان



يحيى بولحية

وجدة – المغرب

متى تتحوّل الجماعة من مجرد أفراد يشتركون في روابط دموية وسياسية أو اجتماعية إلى رقم فاعل ومؤثّر في حركة التغيير المجتمعي؟ وعلاقةً بالموضوع: كيف تتأسّس وحدة الجماعة وقوتها؟ هل تكفي التصورات النظرية لتفعيل هذه القيمة؟ ما الظروف التي تدفع الأفراد إلى الانخراط طوعاً في الجماعة، ودعم أسسها، وتوفير سبل النجاح أمامها، والانتقال بها من طور بناء الأسرة والقبيلة إلى مرحلة تأسيس الدولة والانتصار للاختيارات الوطنية؟.





العمل الجماعي إرث ياباني

الجماعية وتحديات الواقع

شكّلت الجماعة إحدى السمات البارزة في بنية المجتمع الياباني، وامتزجت مضامينها الثقافية بنمط الإنتاج القائم على التعاون لزراعة الأرض واستغلال خيراتها، خصوصاً في أثناء الحقبة الفيودالية.

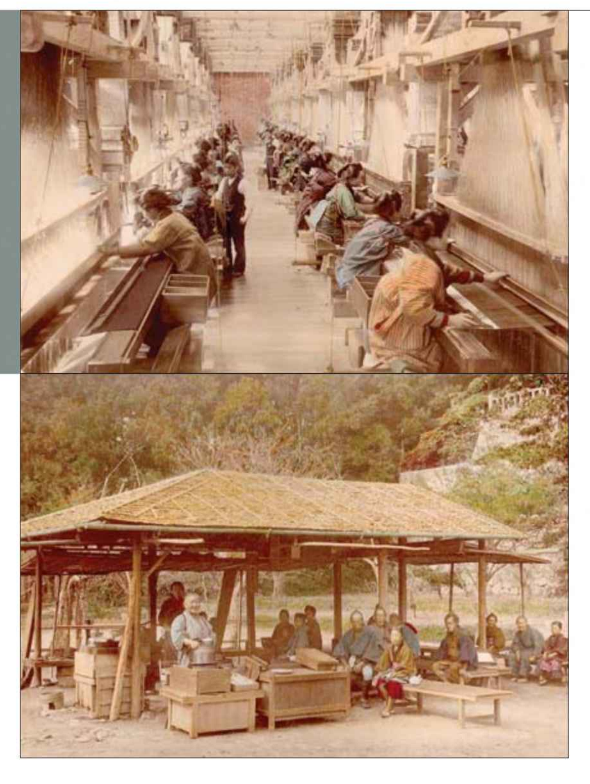
وتمتّع المجتمع الياباني بروح قتالية متميزة، كان لها الأثر الكبير في الانحياز المطلق إلى جانب الإمبراطور حين دعا إلى محاربة التدخل الأجنبي في شؤون اليابان، وإلى وحدة اليابانيين صفاً واحداً دفاعاً عن كرامة اليابان. وشكّلت هذه الدعوة محطة جوهرية لتأسيس مقدمات التحديث الياباني، والانتصار لاختيارات المواطنة الفاعلة والإيجابية.

إذا كان نمط العيش الغربي يركّز في الاستقلال والفردية فإن معظم «اليابانيين يشعرون بالرضا والراحة وهم متماثلون في ملبسهم وسلوكهم وأسلوب حياتهم، حتى في تفكيرهم بمعايير الجماعة»[1]. ويؤكد أحد الباحثين أن «الجماعة في اليابان قديمة قدم الناس فيها؛ فقد كانت زراعة الأرز تتطلب عمل جماعات متضامنة فيما بينها، وفعل الواقع الجغرافي فعله في عملية العزلة»[2] والاعتزاز بالذات القومية.

لم تتأسّس الوحدة المجتمعية والشعورية في اليابان على منطق الشعارات والتنظيرات الجامدة، بل حملت شحنة المكابدة الواقعية، والاحتكاك بإكراهات الواقع، وتحديات الخوف من انفراط عقد التضامن الداخلي. ويمكن القول: إنها ترجمة لنفسية يابانية تؤمن أشدّ الإيمان بضرورة الانتماء إلى دائرة الجماعة؛ «فالجماعية لدى اليابانيين تتقدم على المكاسب الفردية، حيث لا حياة للفرد خارج إطار الجماعة التي ينتمي إليها»[3]. ويلمح رايشاور إلى أن التوجّه الجماعي في اليابان لم يتأسّس على منطق التراكمات النفسية والمجتمعية فقط، بل «ربما كانت الكثافة السكانية الشديدة، والحياة على مساحات



استمرت العلاقات الجماعية داخل مجتمع النيبون في أثناء مسيرة التحوّل من نمط إنتاج فيودالي إلى نمط إنتاج رأسمالي



اليابان عائلة كبيرة عميدها الإمبراطور

صغيرة ضيقة على مدى زمني طويل، سبباً في تعويد الشعب الياباني نفسه على الحياة بروح الجماعة»[٤]. لكن ألم تكن الجغرافيا اليابانية بضيقها، وكثرة براكينها وزلازلها، مقدمةً أساسيةً في إنتاج نفسية قلقة ومتشوّقة إلى الاحتماء بالجماعة؟.

الجماعية والعائلة الكبيرة

لم يقُم الشعور الجماعي على الروابط الدموية فقط، بل «إن مسألة الانتماء في اليابان الإقطاعية شملت حتى الـ(آي ie)، أو بيت العائلة، غير أن الآي كان أوسع من العائلة، حيث يمكن لمن لا يرتبط برباط الدم أن ينتسب إليه... بل إن اليابان كلها كانت بمنزلة (آي) واحدة، والإمبراطور الياباني هو كبير بيت العائلة»[٥].

كان الآي هو التنظيم الذي تقوم على نسقه المنشآت التجارية، وظلّ مهماً حتى عام ١٩٤٥م، بوصفه «لبنةً في بناء اليابان الإمبريالي... وكان منظّرو الأيديولوجيا قبل الحرب يرون أن

اليابان متفرّد بين دول العالم من حيث كونه (الدولة العائلة). وبالمصطلحات الحديثة: كان اليابان منشأةً تضامنيةً»[٦].

تعود فكرة الجماعية إلى حقب عريقة في التاريخ الياباني، وتمثّل حقبة التوكوجاوا محطةً بارزةً ومعبّرةً في هذا المجال؛ فلم تتأسّس الوحدات الاجتماعية خلال العصور الوسطى «على أساس القرابة والنسب، لكنها كانت وحدات اجتماعية تمثّل القرية الزراعية التي يشترك أهلها في مصادر المياه... ويتعاونون معاً في دفع الضرائب وحلّ المشكلات الإدارية الأخرى»[٧].

أورد ياسومازا كورودا ما يُسمّى بجماعة الرجال الخمسة التي عرفها عصر توكوجاوا، وكان أعضاؤها يشتركون في «تحمّل كلّ التبعات القانونية كوحدة قائمة بذاتها داخل مجتمع القرية، وكانت تلك الجماعة هي الوحدة الإدارية الأولى التي استخدمها نظام توكوجاوا للحفاظ على القانون والنظام»[٨]. وهذا الأمر نفسه ذكره أحد الباحثين الكوريين؛ ففي نظره مثّلت مجموعة الأشخاص الخمسة خلال عهد الإيدو (١٦٠٣- ١٦٦٨م) الخلية الأساسية لتنظيم حياة المواطنين بكلّ من القرى والمدن[٩].

من زاوية أخرى، «شكّل الخضوع لقواعد مجموعة محددة شرطاً أساساً أمام النخب اليابانية للوصول إلى مرتبة ممارسة السلطة»(١٠). ولا شك أن إقامة «التوازن بين مصلحة الفرد ومصلحة الجماعة ساهما - إلى حدّ كبير - في إيقاظ الوعي الذاتي لدى العامل أو الموظف الياباني»[١١].

شكّل الانتماء الجماعي أحد الثوابت الأساسية للثقافة اليابانية؛ فقد استطاع اليابانيون أن ينقلوا معهم روابط الجماعة الأولية التقليدية - من الروابط الأسرية والتنظيمات القروية - إلى مكان العمل عندما تحوّلوا من فلاحين إلى عمال صناعة[١٢]. وكانت الدولة في مجملها شكلاً من أشكال البناء العائلي؛ «فمثلما كانت الدولة كبيرة كانت العائلة دولة صغيرة»[١٣].

الجماعية والمقاولة

استمرت العلاقات الجماعية داخل مجتمع النيبون في أثناء مسيرة التحوّل من نمط إنتاج فيودالي إلى نمط إنتاج رأسمالي؛ إذ «حلّت المقاولة محدداً أساسياً للوحدة الاجتماعية عوضاً عن مفهوم الآي (ie)، الذي أدى الدور نفسه خلال مرحلة ما قبل التحديث الصناعي»[١٤]؛ فقد «أخذت العلاقة بين الإدارة والعمال طابع الأبوة من جانب الإدارة، والولاء والانتماء من جانب العمال»[١٥]. وترتّبت عن هذا النمط من العلاقة مجموعة من الالتزامات المتبادلة بين الطرفين جعلت «العامل الياباني يفضّل الانتماء إلى شركة بعينها طوال حياته، حتى إذا حرمه ذلك من إمكانية البحث عن عمل بأجر أعلى»[١٦].

ولما سُئل دوكو - أبو الاقتصاد الياباني - عن عبقرية الشعب الياباني أجاب: «إن المصانع ليست إلا أسرة، إنها حياة العائلة الواحدة بكلّ ما في الكلمة من معنى ريفي قديم؛ فالمصنع عائلة مرتبطة تماماً. وعمّال المصنع قد وُلدوا ليموتوا في داخله، وإذا ترك الواحد منهم هذا المصنع فإنه لن يذهب مطلقاً إلى مصنع منافس، وإذا حاول أحد العمال أن يذهب إلى مصنع منافس فإن المصنع لا يقبله؛ لأن العائلات أسرار، والعائلات اليابانية تتنافس، ولكنها لا تتصارع»[١٧]. وفي حوار أُجري مع Takayoshi - مدير شركة SORD للحاسبات الصغيرة - أجاب قائلاً: «يقوم مبدئي في العمل على أساس المساواة، وتتم مناداة كلّ واحد منا داخل الشركة بلقب (السيد) ما بين زملاء العمل ورؤساء المصالح وغيرهم. وفي الوقت الذي تلحّ فيه شركات أخرى (غربية) على استعمال لقب (السيد المدير) نريد حذف التباينات بشكل يصبح فيه الجميع أسياداً، كما أن جميع العاملين يُنتقون من مستوى جامعي تجنّباً للفوارق داخل الشركة»[١٨]. وبعبارة موجزة: أشار أحد الباحثين الكوريين إلى «أن ما يوحّد الناس في اليابان ليس عقلياً أو قلبياً، إنه المشاعر الملموسة»[١٩].

أدّت الجماعة دوراً يحمل طابع القداسة، «ومصدر هذه القدسية هم الرؤساء الرمزيون للجماعة، وهم الأجداد الأوائل؛ فالأسرة لها رئيسها المقدّس، وكذلك العشيرة والقرية، وفي النهاية القطر بأكمله، حيث يقف على رأسه إمبراطور ينحدر من أصل مقدّس لا ينقطع... والدولة ذاتها لا تعدو أن تكون بمثابة أسرة واسعة يرأسها الإمبراطور، وهنا يصبح الولاء السياسي مرادفاً لولاء الأبناء وطاعتهم لأسرهم»[٢٠].

إن المواطن الياباني «الذي يشترك في رياضة جماعية يحظى بالتقدير الواضح أكثر من المواطن الذي يكون (نجماً) على المستوى الفردي، وروح الفريق لها تقديرها الكبير الذي يفوق

كثيراً الطموح الفردي»[٢١].

تعدّ الأسرة نواةً أساسيةً لفهم آليات النظام الاجتماعي في اليابان، كما تعدّ مؤشراً موازياً ومؤسّساً لنمط هرمي للعلاقات السياسية بدءاً بالإمبراطور وانتهاءً بالمستويات الدنيا من التشكيلات الاجتماعية. وإذا كان عهد الميجي قد أحدث قطيعةً على مستوى تراتبية الطبقات الاجتماعية فإنه ظلّ محافظاً على بنية الآي (ie) بشكل جعل الإمبراطور هو الأب المطلق للعائلة اليابانية[٢٢].

ينشأ الطفل الياباني داخل بيئة أسرية مفعماً بالحنان والتضامن، وينمو «وهو يتوقّع دائماً تفهّم أمه، وتسامحها معه، بل يقبل سلطتها عليه أيضاً، وينمو معه هذا الواقع ليشمل فيما بعد تقبّله سلطة الوسط الاجتماعي المحيط به... وبهذا الأسلوب التربوي ينتقل الطفل من واقعه الطبيعي في سنوات عمره الأولى إلى قبول السلطة الأبوية، ثم سلطة المدرسة الصارمة... بعدها يجيء قبوله وتسليمه بما تصدره الجماعة التي ينتمي إليها من أحكام، أو من المجتمع ككلّ»[٢٣].

تأسّست العلاقات المجتمعية على مقياس يمجّد الجماعة، ويمتثل لقراراتها الملزمة. كما حملت هذه العلاقات مضمون التعاليم الكونفوشيوسية التي تحضّ على احترام التراتب الاجتماعي، وطاعة أولي الأمر من الآباء والحكام.

في «استجواب أُجري في عام ١٩٢٦– ١٩٢٧م تبيّن أن نسبة مصروفات إطار ياباني متوسّط على تربية الأبناء لا تتعدى ٣,٢٪، بينما يخصّص ثلاثة أضعاف ذلك لاستقبال الناس بنسبة ٨,٣٪»[٢٤]، وهو ما يدلّ على عمق ثقافة التضامن والبحث عن الدفء المجتمعي من خلال الاحتفاليات التي تُقام في الأمكنة الخاصة والعامة؛ كعادة تناول الشاي، وغيره.

في عام ١٥٤٩م رحل فرانسيس زافيير Francic Xavier، وسأل: «لماذا لا يكتب اليابانيون (بطريقتنا) من اليسار إلى اليمين أفقياً؟ فأجابه الدليل الياباني بسؤال كان يمكن أن يفيد فرانسيس لو أتعب نفسه في فهم مضمونه... وهو: لماذا لا يكتب الأوربيون بالطريقة اليابانية من اليمين إلى اليسار، ومن أعلى إلى أسفل؟»[٢٥]. حمل باتريك سميث بشدة على نزعة مركزية غربية تنظر باستعلاء إلى المغاير الثقافي والفكري، وحفز في كتابه إلى ضرورة الابتعاد من النظرة النمطية المبسّطة في قراءة (اليابان الخفيّ)، والتسلّح بأدوات معرفية أكثر دقةً وموضوعيةً لمقاربة التاريخ المخبّأ واللاشيء المقدس والروح المسافرة عبر التاريخ، وهي العناوين الكبرى التي وزّعها على مصنّفه الذي اعتمدناه في هذا المقال.

هل يشبه المجتمع الياباني بقية المجتمعات؟

سأل أحد الباحثين قائلاً: «هل يشبه المجتمع الياباني بقية المجتمعات الأخرى؟. وعقّب قائلاً: إن أسباب النجاح الاقتصادي الياباني تكمن في التشبّث بتقاليد الماضي داخل مؤسسات الاقتصاد الحديث»[٢٦]. وتحت عنوان (أخلاق فيودالية داخل مجتمع رأسمالي) يحمل دلالات الاستمرارية في نمط العلاقات المجتمعية ناقش بريسني آراء كثير من الأنثربولوجيين حول دور



جماعية وازدواجية تميّزان المجتمع الياباني

فكرة الجماعية في نسيج العلاقات داخل مجتمع النيبون، وعقّب ملخّصاً: «يمكن رصد استمرارية قوية على امتداد عصور اليابان الفيودالية واليابان الحديثة... ولا شك أن هذه الاستمرارية مفتاح أساس في تفسير النجاح الاقتصادي الياباني»(٢٧).

اكتشف اليابانيون، من خلال زياراتهم الجماعية إلى دول الغرب الرأسمالي، تميّزهم الثقافي من الآخر الأمريكي، وصُدموا «بكل شيء نابع من النزعة الفردية في الغرب؛ مثل: الجدل السياسي، والصراعات العمالية، وسعي كل شخص في اتجاهه. وبدا لهم الغرب، وخاصة أمريكا، كأنه يعيش في حالة من الفوضى. (لقد) صدمت الرأسمالية اليابانيين... باعتبارها حالة حرب في وقت السلم»(٢٨). لكن الأكيد أن اليابانيين، وهم يجوبون ديار الغرب مرحلةً تلو أخرى، تمكّنوا من إدراك القواعد المؤسّسة للاختلافات على مستوى منظومة القيم والسلوكيات، وحصل لهم الاستبصار بخصوص الوجهة التي تناسب تاريخهم ومعتقداتهم وسلوكهم الاجتماعي الخاصّ.

ويُضاف إلى خاصية البناء الجماعي روح التضحية التي اتّصفت بها فئة الساموراي، وهي الفئة التي خرجت من رحمها نخب الإصلاح والتحديث؛ فقد وجد لديها استعداد لافت «للتضحية بالمصالح الفردية في سبيل مصالح الجماعة الأكبر، سواء كانت تلك الجماعة الدولة أو المصنع»(٢٩). وتجلّت هذه التضحية من خلال ما يُسمّى في الأدبيات اليابانية بالبوشيدو والسيبوكو. فالبوشيدو(٣٠)، أو طرائق الفروسية، كانت تعني عند الساموراي «القدرة على اختبار سلوكه في الحياة وفق ما يمليه العقل دون تردّد، وأن يموت حين يجب عليه أن يموت... وكانوا (الساموراي) لا يتردّدون في المخاطرة بحياتهم عوناً لكلّ من استنجدهم المعونة، وأخذوا على أنفسهم أن يحيوا حياةً خشنةً، ولم يكونوا يلتزمون طاعةً إلا طاعة الولاء لرؤسائهم»(٣١).

عاش كوناپارو زنبو Konaparu Zenpo (١٤٥٤-١٥٣٢م) الأيام الأكثر دمويةً في تاريخ اليابان، ورأى أن مسرح نو No يشترك مع فنّ الحرب في ثنائية السيف والموت، وصرّح قائلاً: «في كلّ يوم وليلة، أبداً ودائماً، ينتظر المحاربُ الموتَ، وهو ما يحوّله إلى إنسان حرّ»(٣٢). وأنتجت هذه الخصلة فئةً مجتمعيةً امتلكت مقوّمات التحدي والسعي نحو بناء الذات اليابانية على أسس اعتقدتها سليمةً.

أما السيبوكو، فتعني «الشكل الشعاري للانتحار الذي كان يمارسه أعضاء طبقة الساموراي ليظهروا أنهم قد قبلوا مسؤولية أعمالهم... لقد مثّل الموت في خدمة السيد الإقطاعي قمة التعبير عن الولاء... لدى الساموراي... وبمضيّ الزمن أصبح مثل هذا الشعور بالولاء وبأداء الواجب عقيدةً راسخةً بالمجتمع الياباني بمختلف مستوياته»(٣٣).

تُعرف السيبوكو أيضاً بالهيراكيري، وترجمتها الحرفية باللغة اليابانية تعني: قطع الأحشاء. وكان مقاتلو الساموراي يلجؤون إليها لتفادي الوقوع في أيدي العدو، أو لمسح عار الهزيمة، وكانت تدلّ على النبل والطاعة. وفي كثير من الأحيان كان الساموراي يعيّن أحد مقرّبيه ليقطع رأسه بضربة سيف بعد أن يقوم ببقر بطنه بنفسه(٣٤).

في عام ١٨٦٩م اقترحت الحكومة الجديدة موضوع إلغاء هذا الطقس الانتحاري، وعارضه مجموعة من النواب بقولهم: «إن الانتحار على طريقة سيبوكو له جذوره في الطاقة الحيوية لهذا البلد المقدّس، إنه القرار المقدس للروح اليابانية... إن الانتحار على طريقة سيبوكو هو جوهرة على جبين بلادنا، وهو من أسباب سموّها وتفوّقها على البلاد الأخرى الموجودة وراء البحار»(٣٥).

تسبّبت هذه التقاليد الأسطورية في تزايد تماسك المجتمع الياباني، وتدفّق مشاعر المواطنة وعناصر الفعالية، وظهور مفاهيم جديدة في عملية التعبئة الاجتماعية(٣٦).

الجماعية والازدواجية الاجتماعية

حاول كايكو ياما ناكا Keiko yama naka في كتاب Le Japon au double visage الكشف عن الازدواجية التي تميّز الجماعة والفرد في اليابان، وتفسّر بعض جوانب القوة التي تمنحها المجتمع الياباني، وقد ميّز في هذا المجال بين القناع Tatémaé والحقيقة honné. فالقناع Tatémaé يمثّل «الموقف الاجتماعي الصحيح والمقبول موضوعياً، أما الحقيقة honné فتحيل على المعتقدات الداخلية الحرة والعميقة»(٣٧). وعندما يعبّر اليابانيون عن موقفهم من قضية من القضايا فإنهم يغيّرونها تبعاً للظروف، وتتأرجح بين التزام المبدأ Tatémaé واتباع الحقيقة والتجلّي honné. ولا شك



أدّت الجماعة دوراً يحمل طابع القداسة، ومصدر هذه القدسية هم الرؤساء الرمزيون للجماعة، وهم الأجداد الأوائل

العمق الجماعي في وجدان اليابانيين

شكّلت الجماعية خزّاناً إستراتيجياً مدّ عملية التحديث الياباني بالوقود الاجتماعي الكافي والمناسب. إنها (العصبية) التي توسّلت بالتقاليد الكونفوشيوسية (كنحلة) منحتها الغطاء الأيديولوجي لتسويغ الطاعة واحترام التراتبية الاجتماعية والسياسية.

لا يعني مجمل ما تمّ ذكره ذوبان الفرد في مجتمع النيبون، بل وُجدت معالم واضحة في النزعات الفردية التي دعا يوكيتشي ونيشي أمان وغيرهما إلى استلهام معانيها من التجارب الغربية السابقة. ومع ذلك، ظلّ العمق الجماعي حاضراً في وجدان اليابانيين، وفي حالة اللاوعي الجماعي لهم.

يتحدث بعض الناس اليوم عن اختراق غربي متزايد في منظومة قيم المجتمع الياباني قد تؤثّر في تماسكه الجماعي، لكن تبقى الذاكرة المحلية عصيّةً على النسيان في زمن يبحث فيه اليابانيون عن الدفء المجتمعي والأسري والسياسي، وهو ما تبيّن خلال كارثة التسونامي الأخيرة وما أثارته من تلاحم وعلاقات حميمية.



الجماعية خزّان إستراتيجي للتحديث

أن هذه الازدواجية «تجنّبهم الاصطدام غير المرغوب فيه مع العالم الخارجي»(٣٨).

يمكننا قراءة هذا المعنى في طبيعة الردّ الياباني على التحدي الأمريكي عام ١٨٥٣م؛ فقد مثّلت سياسة العزلة الطوعية التي دامت أكثر من ٢٥٠ عاماً الحقيقة honné، بينما مثّل الانفتاح على التجارة الدولية والخضوع للمطالب

الغربية القناع الذي اضطرّ اليابانيون إلى ارتدائه والتصرّف بمقتضاه ومقتضى مستلزماته الدولية.

ويحاول Keiko yama تفسير هذه الازدواجية قائلاً: «عندما يقابل الياباني شخصاً ما فإن هذا الأخير يمثّل بالنسبة إليه معطًى خارجياً soto، وليس ذاتياً Uchi»[٣٩]. ويتابع معقّباً: «يميّز الياباني في علاقته مع محيطه الاجتماعي بين نمطين مختلفين: Uchi، وتعني الـ(نحن)؛ أي: العائلة والأصدقاء، والآخر Soto، ويحيل على كلّ من لا ينتمي إلى دائرة Uchi»[٤٠].

ويدلّ الانتماء العائلي هنا على مفهوم واسع يطول المجموعة التي يتم الانتساب إليها؛ كالمقاولة، والمصنع، والحقل الزراعي، والتجمعات التجارية، وغيرها. وعندما يتحدث اليابانيون مع الأجانب فإنهم يتحدثون بلغة الـ(نحن) Uchi، ويتحوّل الأجانب – مهما كانت جنسياتهم – إلى الـ(هم) Soto؛ مما يدلّ على تراتبية وأولويات في سلّم التعامل مع دوائر الاختلاف مع الذات اليابانية.

«نادراً ما يعبّر اليابانيون عن مكنوناتهم الداخلية للأجانب. ومن هنا نكتشف هذه اللغة المزدوجة الآتية: القناع Tatémaé بالنسبة إلى المغاير Soto، والحقيقة honné بالنسبة إلى دائرة الـ(نحن) Uchi»[٤١].

وما يمكن قوله في هذا السياق: إنه ثَمّ «هوة واسعة تفصل بين البساطة التي غالباً ما يراها الأجانب في اليابان والتعقيد المتستّر بدهاء تحت السطح. وفي هذه المساحة ما زال اليابانيون يصنعون تاريخهم المخبّأ، أو سجلّ محاولاتهم لتحقيق الذات الصريحة في الحياة العامة»[٤٢].

قريباً من هذا المعنى نقرأ في سيرة فوكوزاوا يوكيتشي هذه العبارة التي تحمل دلالة الغموض في الشخصية اليابانية ولجم مشاعرها، وقد سجّلها كالآتي: «لا تدع الفرح ولا الغضب يرتسمان على محيّاك أبداً»[٤٣]. فهو الانتظار إذاً لاتخاذ الموقف المناسب، كما يمكن أن تعبّر هذه القيم عن خاصية الحكمة والتأنّي في السلوك الإنساني.

يعدّ جواو رودريجز Joao Rodrigues من أبرز الروّاد الغربيين الذين عاشوا في اليابان؛ فقد جاء إليها عام ١٥٧٦م، واستقرّ بها أكثر من ثلاثين عاماً، وقام بدور المترجم للسيد الإقطاعي (الشوجون)، ولا شك أنه خبر الذهنية اليابانية جيداً، واستنتج حكماً يليق بطبيعة الإنسان الياباني، مضمونه «أن للإنسان الياباني ثلاثة قلوب: قلباً زائفاً في فمه ليراه العالم كله، وقلباً آخر بين ضلوعه لأصدقائه، وقلباً ثالثاً في أعمق أعماقه يدّخره لنفسه فقط، ولا يبوح بمكنوناته قطّ لأيّ مخلوق»[٤٤].

وقد عبّر الأمير محمد علي باشا عن غموض الشخصية اليابانية من خلال رحلته إلى اليابان عام ١٩٠٩م قائلاً: «إن السائح يبقى مدة إقامته عندهم غير منشرح الصدر، ولا مطمئنّ الخاطر، ويحصل له ضجر وتألّم من كثرة ما يراه من سكوتهم عنه، وعدم نصيحتهم له، وإبدائهم له خلاف ما يبطنون»[٤٥].

كان اليابانيون أمام اختيارات متعددة تسمح لهم بتغيير المواقع، وتكييف الأمزجة، وكبح المشاعر في سبيل تحقيق أهداف نعتت بالوطنية والإستراتيجية.

خلال الحكم الصارم لأسرة التوكوجاوا (١٦٠٣– ١٨٦٨م) كان على فئات الساموراي أن تخفي ملامح بؤسها على الرغم من مكانتها الاجتماعية المتميزة، وكان على مجموع الساكنة اليابانية أن تلتزم الصمت للحفاظ على الأمن. وربما كان ذلك أحد الأسباب التي تفسّر ميزة الاستقرار الطويل الذي عاش فيه مجتمع النيبون خلال المرحلة المذكورة.

على مستوى آخر، وفي إطار فكرة الجماعية، وما يتعلق بها من قضايا وإشكالات، نقرأ مفهوماً لا يقلّ أهميةً من خلال مصطلح الإجماع némawashi؛ إذ «يكره اليابانيون الجواب بـ(لا)، وبفضل النيماواشي يتجنبون استعمال هذا الجواب الذي يولّد نوعاً من القلق لدى الناس»[٤٦].

يمتد مبدأ الإجماع الذي يأخذ به اليابانيون بعمق في تاريخ الممارسة السياسية والاجتماعية، وعندما يتعذّر الحصول عليه تكون القوة مفتاحاً أساسياً لتحقيقه على أرض الواقع، وهو ما يمكن ملاحظته في الثورة المضادة التي قادها صايغو تاكاموري ضد زعماء عهد الميجي الجديد؛ إذ قام الجيش الإمبراطوري بالقضاء بقوة على المخلّين بقواعد الإجماع الوطني كما مرّ بنا سالفاً.

يلجأ «اليابانيون أحياناً إلى تكتيك التأخّر في اتخاذ القرارات على أمل أن يعمل الوقت على خلق الإجماع. كذلك قد يتدخل بعض الوسطاء من أجل حلّ المواجهات بين القوى ذات المصالح المتصارعة. ويُعزى ذلك إلى الممارسات التقليدية، وأهمية العلاقات



خلال الحكم الصارم لأسرة التوكوجاوا كان على فئات الساموراي أن تخفي ملامح بؤسها على الرغم من مكانتها الاجتماعية المتميزة

التي تربط الفرد بجماعته الصغيرة؛ كالأسرة، أو الأقـارب، أو المعارف، أو المهنة»[٤٧]. و«تتضمن خصوصية اليابان نمطاً ذا طبيعة سلطوية في صنع القرار، لكنه نمط أوليجاركي، وليس شخصياً... ولا يزال مجلس الوزراء الياباني اليوم... يتّخذ قراراته من خلال قاعدة الإجماع. وعضو المجلس الذي لا يتّفق رأيه مع هذا الإجماع يُتوقّع منه إما أن يستقيل، أو أن يُواجَه بالتجاهل والتغاضي من قِبَل رئيس مجلس الوزراء، وبرفض النظر في موقفه أساساً»[٤٨].

ردّ Hori Shigeru – الأمـين العـام السـابق للحزب الديمقراطي الليبرالي – على منتقديه الذين آخذوه على غياب برنامج أيديولوجي لحزبه بأسلوب ومضمون يؤكّدان تداخل الماضي بالحاضر قائلاً: «لم يتكوّن حزبنا انطلاقاً من بناء نظري أو أيديولوجي، بل قام على أسس بسيطة من قبيل التواصل الإنساني والـولاء للتنظيم. كما نستمدّ وحدتنا من المشاعر الحميمية التي نقيمها معاً»[٤٩].

الـهـوامـش والـمـراجـع

(١) أدوين رايشاور، اليابانيون، ترجمة: ليلى الجبالي، سلسلة عالم المعرفة، عدد ١٣٦، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص١٨١.

(٢) باتريك سميث، اليابان: رؤية جديدة، سلسلة عالم المعرفة، عدد ٢٦٨، ٢٠٠١م، الكويت، ص٧٠.

(٣) أحمد بهيّ الدين قنديل، الثقافة السياسية اليابانية، مجلة أوراق آسيوية، العدد ٣٠، فبراير عام ٢٠٠٠م، مصر: كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، جامعة القاهرة، ص١-٣٠.

(٤) أدوين رايشاور، اليابانيون، مرجع سابق، ص١٩٥.

(٥) أدوين رايشاور، اليابانيون، مرجع سابق، ص٦٥.

(٦) باتريك سميث، اليابان، مرجع سابق، ص٦٣.

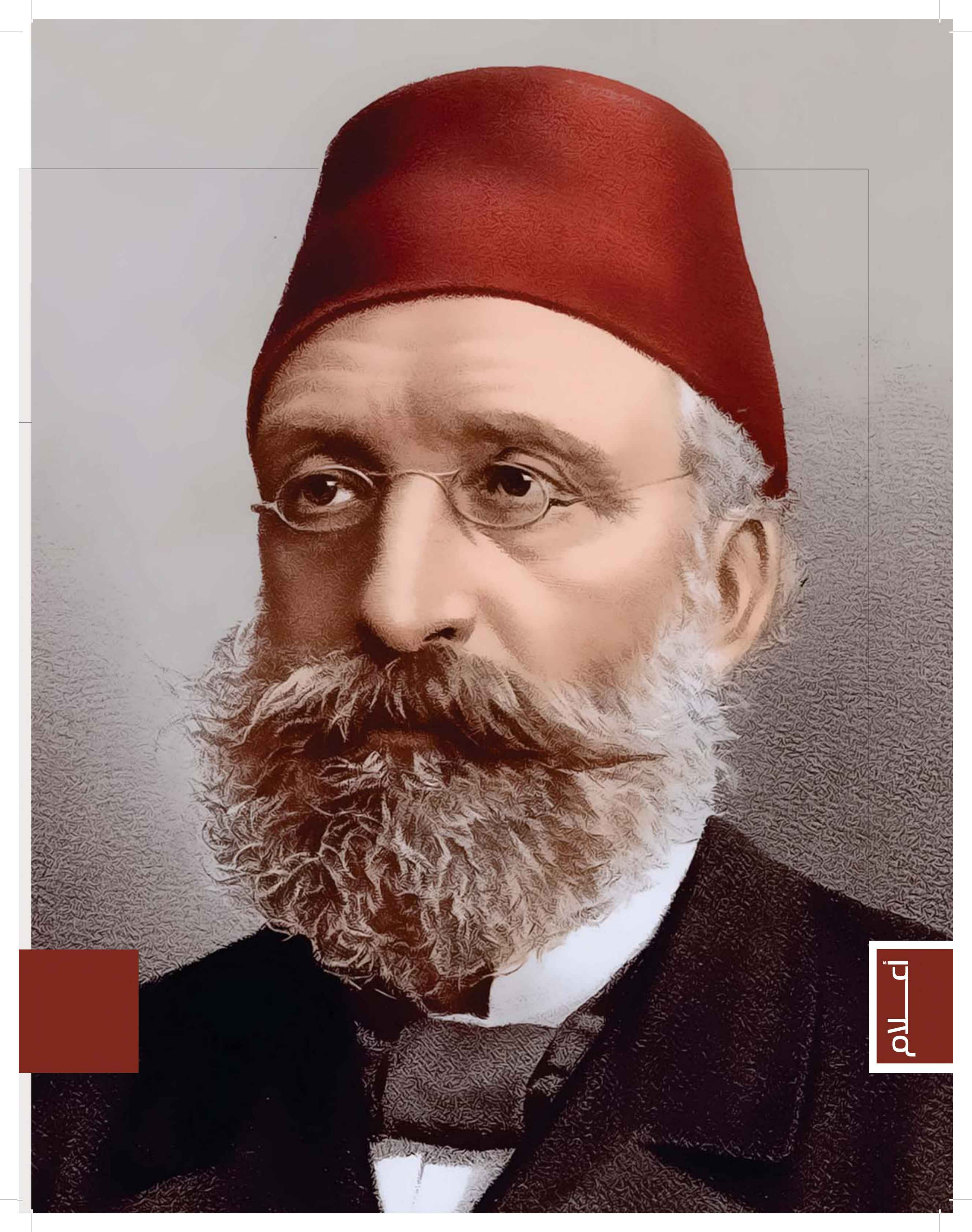
(٧) أدوين رايشاور، اليابانيون، مرجع سابق، ص١٨٦.

(٨) ياسومازا كورودا، التحديث والاغتراب في اليابان، مجلة المستقبل العربي، عدد ٦٩، ١٩٨٤م، ص١٢٢-١٣٧.

(٩) O.Young Lee. Smaller is better: miniaturisation et productivité japonaise; trad. de l'anglais par Jean Martel. Paris: Masson. 1988., page:93.

(١٠) Ibid. page:40.

(١١) مسعود ضاهر، العرب واليابان: أضواء على تجربة التحديث اليابانية، مجلة الوحدة، السنة الثامنة، عدد ٨٥، ١٩٩١م، ص٩٩-١٠٧.
(١٢) ياسومازا كورودا، مرجع سابق، ص١٢٩.
(١٣) Patrick Beillevaire. Ethos et cikos. Figures familiales de la vie collective Japonaise. le Japon et son double: Logiques d'un auto portrait. sous la direction de Augustin Berque. Masson 1987. p: 31.
(١٤) Bricnet. Frédéric. Japon: sabre. paravent. Paris: Editions Ouvrières. 1983.page.130
(١٥) أحمد بهيّ الدين قنديل، الثقافة السياسية اليابانية، مرجع سابق، ص١٣.
(١٦) المرجع نفسه، ص١٣.
(١٧) محمود محمد شعر، دراسة في البناء الحضاري: محنة المسلم مع حضارة عصره، كتاب الأمة، مطابع مؤسسة الخليج للنشر والطباعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص٨٧.
(١٨) Volle. Jacques. Comment les japonais qui produisaient mal. produisent-ils maintenant trop bien? Boulogne-Billancourt: Hommes et techniques. 1982.Cedex. France. page:158.
(١٩) O-Young-Lee. Smaller is better. op.cit.page: 91.
(٢٠) عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ١٩٨٤م، ص٦٧.
(٢١) شارل عيساوي، تأملات في التاريخ العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩١م، ص٢١٠.
(٢٢) Higuchi Yoichi.Christian Sautter; L'état et l'individu au Japon. Éditions de l'école des hautes études en sciences sociales. Paris1990.page:16.
(٢٣) أدوين رايشاور، اليابانيون، مرجع سابق، ص٢٠١.
(٢٤) O-Young-Lee. Smaller is better. op.cit....page:92.
(٢٥) باتريك سميث، اليابان، مرجع سابق، ص١٧.
(٢٦) Bricnet. Frédéric. Japon: sabre. paravent. Paris: Editions Ouvrières . 1983. page 129.
(٢٧) Ibid. Page: 130.
(٢٨) باتريك سميث، اليابان، مرجع سابق، ص٧٨.
(٢٩) أدوين رايشاور، اليابانيون، مرجع سابق، ص١٩١، ١٩٢.
(٣٠) البوشيدو Bushidō: يعني لغوياً طريق المحارب Way of the Warrior، وتعني أسلوب حياة الساموراي أو البوشي، وقد بدأ استعمالها نحو عام ١٦١٦م، وتشكّلت من مجموعة من القيم الأخلاقية المأخوذة من البوذية والشنتوية والكونفوشيوسية، وفي مقدمتها قيم الولاء والشهامة والنبل والإقدام على الموت بجرأة وشجاعة. تُرجم بتصرّف عن: http://fr.wikipedia.org/wiki/Bushido.
(٣١) ويل ديورانت، قصة الحضارة، ترجمة: زكي نجيب محمود، الجزء الخامس من المجلد الأول، تونس: المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة والعلوم، بيروت: دار الجيل للطبع والنشر، ١٩٨٨م، ص٣٩.
(٣٢) O-Young Lee. Smaller is better. op. cit.... page: 89.
(٣٣) محمد عبدالقادر حاتم، أسرار تقدّم اليابان، مصر: مطابع الأهرام التجارية، ١٩٩٠م، ص٤٤.
(٣٤) Seppuku. http://fr.wikipedia.org/wiki/Seppuku.
(٣٥) باتريك سميث، اليابان، مرجع سابق، ص٢٦٧.
(٣٦) عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة، مرجع سابق، ص٣٠.
(٣٧) Keiko yama naka. Le Japon au double visage. Édition Denoel. Paris. 1997. page: 19.
(٣٨) Ibid. Page: 19.
(٣٩) Ibid. Page: 20.
(٤٠) Ibid. page: 20.
(٤١) Ibid. page: 21.
(٤٢) باتريك سميث، اليابان، مرجع سابق، ص٦٢.
(٤٣) فوكوزاوا يوكيتشي، سيرة فوكوزاوا يوكيتشي، ترجمة: كامل يوسف حسين، أبو ظبي: المجمع الثقافي، ٢٠٠١م، ص٥١.
(٤٤) باتريك سميث، اليابانيون، مرجع سابق، ص٦١.
(٤٥) الأمير محمد علي باشا، الرحلة اليابانية، حرّرها وقدّمها: علي أحمد كنعان، أبو ظبي: دار السويدي للنشر والتوزيع أبو ظبي، ٢٠٠٤م، ص١٠٩.
(٤٦) Keiko yama naka. op cit. PAGE: 32.
(٤٧) أحمد بهيّ الدين قنديل، مرجع سابق، ص١٦، ١٧.
(٤٨) عبدالغفار رشاد، التقليدية والحداثة في التجربة اليابانية، مرجع سابق، ص١٥٨.
(٤٩) O. Young- Lee. Smaller is better. op.cit.... page: 92.


أعــلام



مدحت باشا بين الحقيقة والخيال

محمد مصطفى الهلالي
القامشلي – سورية

وُلد مدحت باشا في صفر سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م في إستانبول، وأصل الأسرة من روسجق في بلغاريا. وكان أبوه حافظ محمد أشرف قاضياً شرعياً مستنيراً، عُرف بالاستقامة والنزاهة والميل إلى التجديد والإصلاح[١]، فسماه: أحمد شفيق. أدخل الديوان الهمايوني، فتعلم الخط الديواني الخاص بهذا القلم، وكانت العادة جارية بتسمية من يتخرّج في هذا الديوان باسم جديد، فأطلق عليه اسم مدحت الذي عُرف به[٢]. ومدحت باشا هو أحد الشخصيات التاريخية التي لم توضع في موضعها الصحيح، ولم يقوّم التقويم السليم؛ إذ أحيط بهالة كبيرة، وقدم إلى الناس بطلاً للحرية والديمقراطية، ومناضلاً ضد الظلم والطغيان والاستبداد، وضحيةً من ضحايا السلطان عبدالحميد. وهكذا، فإن القوى الماسونية والصهيونية التي شوّهت سمعة السلطان عبدالحميد، وأنزلتها إلى الحضيض، هي نفسها التي رفعت سمعة مدحت باشا إلى عنان السماء. يقول زياد أبو غنيمة: حين كانت الدعاية اليهودية الإعلامية تشوّه صورة رجالات الدولة العثمانية كانت في الوقت نفسه تضفي هالات زائفة من صفات البطولة والرجولة والاستقامة على الشخصيات التركية التي كانت الصهيونية، وربيبتها الماسونية، بالتحالف مع الصليبية، تعدّها لتسلّم مقاليد الأمور في تركيا في حالة نجاح الخطة الخبيثة للقضاء على كيان تركيا الإسلامي.

ومن تلك الشخصيات مدحت باشا، اليهودي الذي ادّعى الإسلام نفاقاً، والذي صوّرته الدعاية الإعلامية اليهودية في صورة المكافح من أجل الشعب التركي، وأطلقت عليه أوصافاً براقة؛ مثل: أبو الإصرار، وأبو الدستور، وخالع السلاطين، ومحطّم التيجان والعروش، والشهيد، وغيرها من الأسماء والأوصاف البراقة. وحين نفاه السلطان عبدالحميد إلى الطائف بعد أن فُضحت علاقته بمخطّطات الصهيونية والماسونية المتآمرة ضد دولة الخلافة أقامت الدعاية الإعلامية اليهودية الدنيا ولم تقعدها احتجاجاً على نفيه، واستغلت اليهودية هذه الحادثة لتكثيف هجمتها على السلطان عبدالحميد بوصفه رمزاً للدولة العثمانية، وعنواناً لوحدة المسلمين[٣]. وقال عبدالله التلّ رحمه الله: «صوّرت الدعاية الصهيونية اليهودية مدحت باشا اليهودي الماكر بطلاً من أبطال العالم، وسمّته (أبو الأحرار)، وسخّرت صحف أوربا وإذاعاتها لتمجيد مدحت باشا حامل لواء الإصلاح والحرية في السلطنة العثمانية... وهو في حقيقة أمره يهودي متآمر على الإسلام والمسلمين. وحين عزله السلطان عبدالحميد، ونفاه إلى الطائف، هبّت سفارات الغرب في الآستانة محتجةً على قسوة عبدالحميد، ومطالبة بالعفو عن مدحت باشا»[٤].

مدحت باشا هو الذي دفع الدولة العثمانية - بقصر نظره - إلى كارثة الحرب الروسية العثمانية التي كلّفت الدولة العثمانية ثمناً باهظاً جداً

كان مدحت باشا والياً ناجحاً؛ ففي كلّ ولاية عمل فيها والياً ترك آثاراً جيدة ونافعةً لأهلها، وقام بأعمال جليلة، وعمل فيها إصلاحات كثيرة ومتنوعة، وأظهر كفاءة عالية ونشاطاً واسع الأفق، لم يظهرهما غيره في الدولة. وهذا الأمر مما لا يستطيع أن ينكره إلا مكابر؛ فقد أصبح والياً على بلغاريا وعمره أربعون سنة. وتولّى ولايات كثيرة ومتنوعة، فكان والياً على الدانوب والطونة (البوسنة والهرسك)، وعُيّن عام ١٨٦٩م والياً على بغداد، كما عُيّن والياً على سورية (دمشق) وغيرها من الولايات. وتولّى منصب الصدارة العظمى عام ١٨٧٣م، لكنه استقال، أو بالأحرى: أقاله السلطان عبدالعزيز منها. لكن هل كان مدحت باشا رجل دولة ورجل سياسة من الطراز الجيد أو حتى المتوسط؟.

المدقّق لتاريخه لا يستطيع الإجابة عن هذا السؤال بـ(نعم). يقول ولفرد بلنت، وهو يصف مدحت باشا الذي التقاه عندما كان والياً على دمشق: «لم يكن ممتازاً بأي شيء في مظهره، سوى أنه كان فخوراً مختالاً، ولم أجد في أثناء محادثتي معه في موضوع تجديد تركيا وإصلاحها أيّ عمق في أفكاره»[٥]. وقال علي الوردي: «أستطيع أن أقول بوجه عام: إن مدحت باشا على الرغم مما تميّز به من كفاءات وفضائل كان يرتكب أخطاءً كثيرة من جرّاء ثقافته الناقصة، وشدة شغفه بالحضارة الأوربية».

والظاهر أنه كان ذا ولع مفرط بالتجديد، وبتقليد الأوربيين، وكأنه كان يعدّ الأوربيين المثل الأعلى الذي يجب أن يهتدي به كلّ من يريد إصلاح بلاده من الشرقيين.

يقول عنه المؤرخ لونكريك: لم تخلُ أعماله الكثيرة التي اضطلع بها خلال سني حكمه في العراق وفي غيره من آثار العجلة والأغلاط الاقتصادية والسياسية الناشطة عن جهل بعض الأمور أو تناسيها؛ لأنه كان في بعض الأحيان كثير الثقة حتى الإفراط بكلّ ما يسمى تجديداً، كما كان يفضّل في أحيان أخرى الأمور الخلابة على الأمور المعقولة[٦].

تخرج من هذه الشهادات والاعترافات وغيرها، وهي غيض من فيض، بأنه كان متأثراً بالأفكار الغربية ومبادئ الثورة الفرنسية، وعاشقاً للحضارة الغربية؛ ليرضي الدول الغربية، ولتصير الدولة في مصافّ الدول الغربية حسب زعمه، وهو الذي أسّس حزب تركيا الفتاة، وانتسب إلى الماسونية[٧].

وبعد تولّي مدحت باشا الصدارة العظمى عام ١٨٧٦م عمل بكل قواه على أن يسوّي بين جميع أجناس الدولة في المعاملة. وهو الذي دفع الدولة العثمانية - بقصر نظره - إلى كارثة الحرب الروسية العثمانية التي كلّفت الدولة العثمانية ثمناً باهظاً جداً. فقد أشار المؤرخ جودت باشا في مذكراته إلى أن مدحت باشا، وسر عسكر رديف باشا، ومحمود جلال الدين باشا، هم الذين دفعوا الدولة العثمانية إلى أتون الحرب. وقد حاول السلطان عبثاً الوقوف أمام جرّ الدولة العثمانية إلى هذه الحرب الضروس؛ إذ كان يعلم علم اليقين أن الأوضاع الخارجية والداخلية للدولة لا تسمح لها أبداً بأيّ أمل في حربها مع روسيا القيصرية، وكان يشاركه في هذا سعيد باشا، لكن مدحت باشا خلق حوله جواً معيناً يجعل من معارض الحرب متقاعساً ويعدّه خائناً، كما وجّه تهديداً غير مباشر إلى السلطان عبدالحميد عندما اتهم سعيد باشا بالخيانة وسقوط الهمة لمعارضته الحرب. ولم يكتفِ مدحت باشا بذلك، بل أرسل من حرّض طلبة المدارس الدينية على القيام بمظاهرات صاخبة تأييداً للحرب، واقترح مناقشة الموضوع من قبل مجلس فوق العادة، يتكون من كبار رجال الدولة العثمانية. وقد اجتمع هذا المجلس من العسكريين والمدنيين ومن ممثّلي الأديان والملل الأخرى يوم الخميس ١٨ يناير/ كانون الثاني عام ١٨٧٧م الموافق ٣ من المحرم سنة ١٢٩٤هـ في الباب العالي (مجلس الوزراء) بحضور ٢٤٠ عضواً، بينهم ستون ممثلاً عن الأقليات غير المسلمة. وقبل انعقاد هذا المجلس بيوم واحد أرسل اللورد سالزبوري - ممثّل إنجلترا - رسالةً إلى مدحت باشا يشرح فيها الوضع السيئ للدولة العثمانية، نقتطف منها

أقال السلطان عبد الحميد مدحت باشا من منصب الصدر الأعظم في ٥ فبراير/ شباط عام ١٨٧٧م، ونفاه بوصفه مرتكباً للخيانة العظمى

هذه الأسطر: «إن المسؤولية التي تقع على عاتق معاليكم مسؤولية كبيرة؛ إذ إن قبول اقتراحات الدول ورفضها منوطة بكم فقط، كما أن سلامة دولتكم أو فناءها في يدكم أنتم؛ لكونكم الشخص الوحيد الذي يستطيع التأثير في سلطانكم».

لكن لم يكن هناك شيء يستطيع إيقاف مدحت باشا عن السير في الطريق الذي اختاره؛ إذ استمر في ترتيب المظاهرات الصاخبة والمطالبة بالحرب، والإيعاز بكتابة المقالات النارية في الصحف؛ حتى أصبح من المستحيل أن يقف أحد أمام هذا التيار من دون أن يُتّهم بالخيانة الوطنية والجبن. وأصرّ على انعقاد المجلس الذي اتّخذ قراراً - بضغط من مدحت باشا - يرفض مقترحات الدول الأجنبية؛ لأنها تخلّ باستقلال الدولة العثمانية؛ أي: إعلان الحرب. وهكذا بدأت الحرب العثمانية - الروسية بتأثير من مدحت باشا بتهوّره وإصراره على وقوعها وخوضها دون الالتفات إلى عواقبها ونتائجها.

ومما وُصف به مدحت باشا أيضاً: الاستبداد في الرأي، وعدم المبالاة في تصرّفاته وكلامه، وأنه كان متهوراً لا يحسب حساباً للنتائج الضارة الناتجة من عمله، وكان معجباً بنفسه، شديد الثقة بها. ولمدحت باشا مذكرات وضعها في جزأين، سمّاها (تبصرة العبرة ومرآة الحيرة)، يستطيع المطّلع عليها أن يتأكد مدى إعجاب الباشا بنفسه، ومدى توقيره، بل إنه عندما يتحدث عن نفسه يستعمل كلمة مدحت باشا، أو المشار إليه مدحت باشا، وكأنه يتحدث عن شخص ثالث. لذلك، وانطلاقاً من هذه الحالة النفسية، فإنه أصبح متأكداً ومقتنعاً في قرارة نفسه بأن الدولة قائمة به، وأنه عندما ينسحب ستتقوّض أركانها. فعندما نفاه السلطان عبدالحميد إلى خارج البلاد فإن (المشار إليه مدحت باشا) التفت إلى سعيد باشا - مشير المابين - قائلاً له: «يعلم الله أنكم إن قمتم بطردي وإبعادي فإن البلد سينهار لا محالة. وعندما أُخرج من القصر في طريقه إلى الباخرة اعتقد أن الدولة العثمانية أصبحت بعده في عداد الأموات؛ لذا لم يتردّد في الترحم عليها قائلاً: يرحم الله هذه الأمة»[٨].

أما عن سكر مدحت باشا وعربدته، فحدّث ولا حرج؛ فعندما صدر المرسوم السلطاني الخاصّ بالقانون الأساسي عام ١٨٧٦م في أثناء صدارته الثانية اجتمع أحرار ذلك العهد من شعراء وكتّاب وأدباء وسياسيين مساء يوم صدور مرسوم القانون الأساسي في

السلطان عبدالحميد

قصر مدحت باشا لا ليتحدثوا في أمور الدولة، بل في أمور السكر والعربدة، وهم يحتسون الخمر. ومدحت باشا يدمن الخمر منذ شبابه، ومشهور عنه هذا. والتقت نشوة الخمر بالنشوة التي بعثها إعلان القانون الأساسي، وعندما نهض من على الأكل خرج مستنداً إلى ذراعيه لكيلا يقع، وبينما كان يغسل يديه قال لزوج أخته طوسون باشا، وهو يؤرجح لسانه: يا باشا، من يستطيع هذه المرة - وبعد كلّ هذا - أن يبعدني من مكاني؟! من؟!. قل لي: كم عاماً سأظلّ في الصدارة العظمى؟!. فردّ عليه طوسون باشا قائلاً: إذا بقيتم على هذا الحال فليس أكثر من أسبوع.. قال له طوسون باشا هذا الكلام وهو يدفعه إلى جناح الحريم[٩].

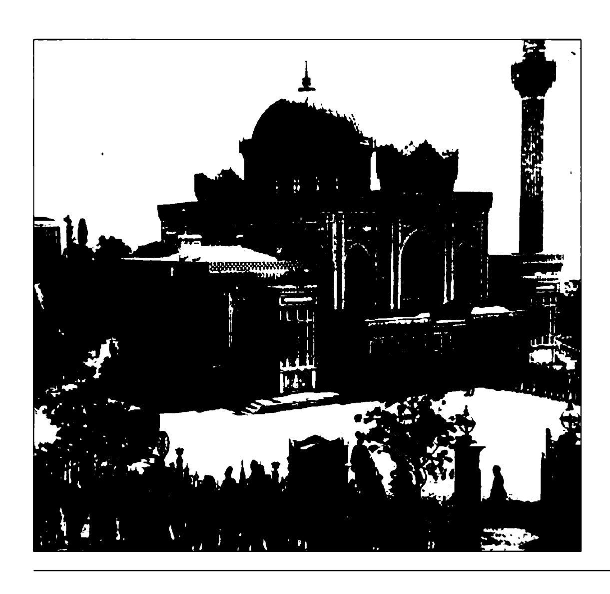
وكان مدحت باشا يخاطب السلطان عبدالحميد خطاب من له دالة عليه وفضل، ويعدّه مديناً له بعرشه، وأنه قادر على تنحيته من العرش متى شاء، والإتيان بغيره. إنه يخاطبه مخاطبة الندّ للندّ بقوله: «يجب على ذاتكم الملكية أن تعرفوا وظائفكم بصورة لا تقبل اللبس والإبهام»، ويقول: «لكن هذا الاحترام (لكم) لا يمنعني من مخالفتكم في أتفه الأمور... وفي الوقت الذي نسعى نحن إلى بناء هذا الوطن الذي خرّبته الزعازع والأعاصير يمكنني القول: إنكم تريدون هدمه». وهذا الأمر لا يمكن أن يحتمله سلطان عثماني من أحد (عبيده)، وإن كان مديناً لهذا العبد بعرشه[١٠].

وكانت على مدحت باشا مآخذ كثيرة، منها على سبيل المثال لا الحصر:

- عندما كان والياً على البوسنة والهرسك أمر بإضافة الصليب إلى العلم العثماني ذي الهلال والنجمة؛ حتى يكون هذا العلم علم المنطقة المحلي. وفي أثناء صدارته صدر فرمان حقّ الاقتراض الخارجي لخديوي مصر إسماعيل، ونتائجه عواقب وخيمة على مصر.
- وفي أثناء ولايته على الطونة أيضاً كان يشجّع تدريس اللغة البلغارية، ويلتزمها؛ فنبّهوه إلى العواقب الوخيمة التي تؤدي إليها هذه السياسة، فقال لهم: «ليدرسوا بأيّ لسان»، ومعروف أنه أصرّ على قراره؛ لأن له لمعة ظاهرة[١١].
- ثبوت اتّصاله بالدول الأجنبية: إنجلترا، وفرنسا، والنمسا، خصوصاً إنجلترا، وإخبارهم بقرار عزل السلطان عبد العزيز.

يقول عبدالقديم زلوم: «اتفق مدحت باشا مع حسين عوني باشا - سرّ عسكر الدولة - على خلع عبدالعزيز، ثم اتصلا بناظر البحرية وشيخ الإسلام، واتفقا معهما على خلع السلطان، وتواعدوا على يوم معين. وقبل اليوم المعين بعث مدحت باشا مذكرة إلى الدول الأوربية، باستثناء روسيا، أعلن فيها أن خلع السلطان بات أمراً يحتّمه الشرع الإسلامي»[١٢].

- استغلّ مدحت باشا منصبه، فزوّر انتخابات مجلس المبعوثان؛ ليضمن فوز ٤٨ نائباً من غير المسلمين من أصل ١١٧ نائباً هم أعضاء المجلس، وفي ذلك يقول عبدالله التلّ رحمه الله: «وحين تسلّم عبدالحميد السلطة وجد أن مدحت باشا ورفاقه من يهود الدونمة قد دبّروا خضوع الخلافة والدولة العثمانية إلى حكومات



من الادعاءات والمزاعم التي زعمتها وقامت بنشرها وبثّها على نطاق واسع الماسونية أن موت مدحت باشا كان بإيعاز من السلطان عبدالحميد

أوربا بحجة الإصلاح وحماية الرعايا من غير المسلمين. ولما كان السلطان عبدالحميد حراً أبياً فقد امتنع عن مجاراة مدحت باشا في استخذائه للغرب المستعمر الطامع في الدولة الإسلامية العظيمة، ولم يطُق عبدالحميد أن يرى مدحت باشا يمهّد الطريق بدسائسه وخيانته لنجاح ٤٨ نائباً مسيحياً من مجموع ١١٧ نائباً هم أعضاء مجلس المبعوثان «البرلمان». كما لم يطُق السلطان أن يرى نفوذ مدحت باشا وطغيانه بعد أن رآه يعزل السلطان عبدالعزيز، ويدبّر مؤامرة قتله، ويعزل السلطان مراد الخامس بعد ثلاثة أشهر من تنصيبه. وأدرك السلطان عبدالحميد بما عُرف عنه من ذكاء ودهاء وبُعد نظر أن مدحت باشا ميّال إلى الاستبداد، وأن دعوته إلى الحرية خادعة مضلّلة، وأنه يطالب بالحرية لنفسه[١٣] ولبني قومه من اليهود ومن يسيرون في زفّتهم من النصارى، ويمنعها عن الآخرين. وفي تاريخ تركيا الطويل لم يُرو عن شخص ضحّى باستقلال تركيا، ونادى بوصاية وانتداب استعماري غربي على الشعب التركي سوى مدحت باشا، الذي أسمته صحافة الغرب اليهودية بـ(أبي الحرية)، وشخص يهودي آخر من بعده، هو يلمان صاحب جريدة (وطن) الناطقة باسم الاستعمار والجالية اليهودية في تركيا»[١٤].

أسباب عزل مدحت باشا قبل محاكمته

لقد عُزل مدحت باشا من الصدارة العظمى والوزارة عدة مرات، سواء أكان ذلك في عهد السطان عبدالعزيز أم زمن السلطان عبدالحميد الثاني، وذلك للأسباب الآتية:

- اشتراك مدحت باشا في عزل سلطانين، وتنصيب سلطانين، جعله مغروراً، ومعتداً بنفسه، ومحباً التسلّط؛ فعندما نفاه السلطان قال لسعيد باشا: «قمتم بإبعادي وطردي من هنا، فإن البلد سينهار لا محالة». وهو كلام يدلّ على مدى غروره، ونوع نظرته إلى نفسه.

- كان موضع شكّ وريبة وعدم ثقة من السلطان.

- أنه جرّ الدولة العثمانية بتهوره وقصر نظره إلى كارثة كبيرة.

- أصبح يجاهر ويعلن في مجالس الشرب والخمر التي يعقدها في بيته استخفافاً بالسلطان، ويظهر نيّته في تغيير الحكم بحكم جمهوري، وقد اشتهر وتواتر ما قاله مرةً وهو ثمل: «لقد حكم حتى الآن آل عثمان، فما المانع أن يحكم من الآن فصاعداً آل مدحت».

- قام بتشكيل وحدة من الجيش مرتبطة به خارجة عن نطاق الجيش الرسمي، وذلك بالتعاون مع ضياء باشا وكمال بك، على أساس أنها جيش الأمة، وكانت هذه الوحدة تتألف من شباب المسلمين وغير المسلمين. وقد كثر عددها، وبدأ أفرادها يتوافدون على قصره، ويهتفون ويصفّقون له. وكان هذا التصرّف من مدحت باشا تصرّفاً غريباً ونشازاً لا تقبل به إدارة أيّ دولة مهما كانت ديمقراطية. وعندما أصدر السلطان أمراً بتسجيل أفراد هذه الوحدة ضمن جيش الدولة كمتطوعين لم ينفّذ أمره(١٥).

- عندما كان وزيراً للعدل في وزارة محمد رشيد باشا أيام السلطان عبدالعزيز قام بمحاولة لإقناع السلطان بوضع دستور للدولة من النظم الديمقراطية الغربية؛ لأنه صمّم على أن يوجد للبلاد دستوراً وفق الأفكار الغربية ليرضي الدول الغربية، ولتصير الدولة العثمانية في مصافّ تلك الدول. فكتب كتاباً إلى السلطان عبدالعزيز يطلب فيه إصلاح الوضع في الدولة بوضع دستور لها. وبعد أن قرأ السلطان ذلك الكتاب غضب غضباً شديداً من هذا الكتاب، وأصدر أمره في الحال بعزل مدحت باشا من الوزارة، وإبعاده بتعيينه والياً لسلانيك. لكن لم يلبث مدحت باشا فيها طويلاً، ورجع إلى إستانبول ليتآمر مع حسين عوني باشا - سر عسكر الدولة - وناظر البحرية وشيخ الإسلام على خلعه، بل قتله بعد ستة أيام من عزله عن السلطة.

وبعد تولّي السلطان عبدالحميد مهامّ الخلافة بمدة قصيرة تولّى مدحت باشا مقاليد الصدارة العظمى، فأخذ يسعى ويجدّ في سبيل إعداد دستور للبلاد، فألّف لجنةً من ستة عشر موظفاً مدنياً، وعشرة علماء، وقائدين كبيرين من الجيش، وعهد إليها بوضع مشروع دستور للدولة، وبعد مصاعب بالغة أقرّت اللجنة مشروع الدستور المستوحى من الدستور البلجيكي. ونشر هذا الدستور تحت اسم (قانون أساس) في ٢٣ كانون الأول/ ديسمبر عام ١٨٧٦م، فأصبح دستور الدولة الرسمي؛ أي: صار الدستور البلجيكي مع مراعاة بعض النواحي الإسلامية دستوراً للدولة الإسلامية. ومما نصّ عليه هذا الدستور إطلاق لفظ العثمانيين على جميع رعايا

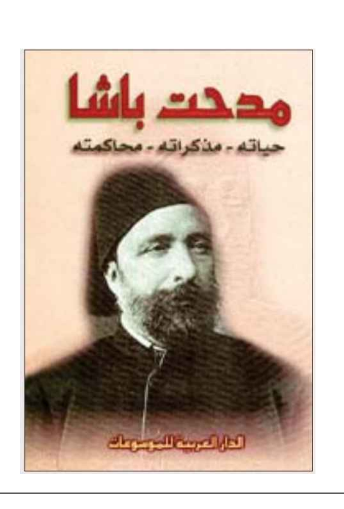
الدولة، والاعتراف بحريتهم الشخصية. وبدلاً من أن يكون الإسلام هو دستور الدولة كما كان الحال من قبل هذا الدستور، نصّ الدستور على أن الإسلام هو دين الدولة؛ أي: تكون أعياد الدولة والأمور المتعلقة بمثل ذلك مُراعًى فيها الإسلام. ونصّ الدستور على إقامة التمثيل الشعبي عن طريق مجلسين: أحدهما للنواب، وكان يسمى مجلس المبعوثان، والآخر للشيوخ، المعروف بمجلس الأعيان، على أن يتمتع أعضاؤهما بحصانة برلمانية (نيابية)؛ أي: لا يخضعون لقوانين الدولة ولا للأحكام الشرعية حتى ترفع الحصانة عنهم، وأن يجتمع المجلسان في غرّة نوفمبر/ تشرين الثاني من كلّ عام، ويكون التشريع بيد المجلسين، وأن يناط وضع الميزانية بمجلس النواب، وأن يقوم الحكم في الولايات على أساس اللامركزية.

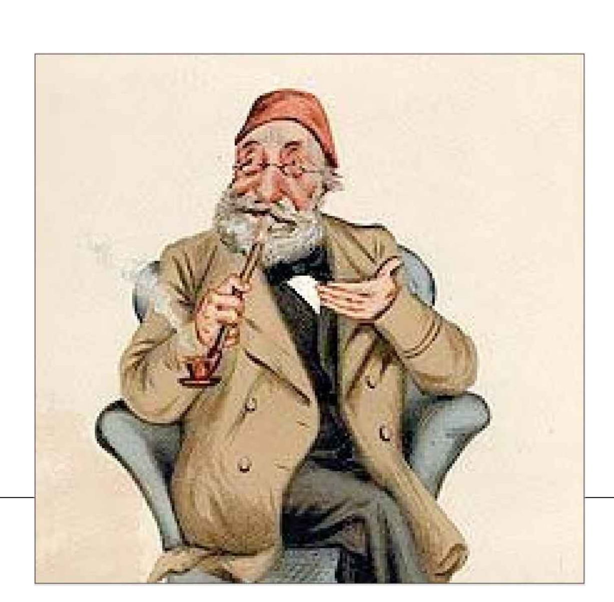
لذلك لم ينفّذ الباب العالي هذا الدستور، ووقف في وجهه عبدالحميد الثاني والعلماء وكبار المسلمين، وصار الباب العالي يتهرّب من تنفيذ قرارات الدول الكبرى. وقد لمس السلطان عبدالحميد ألاعيب إنجلترا وخصومتها، ويبدو أنه لاحظ محاولاتها الاتصال برجال الدولة، فأقال مدحت باشا من منصب الصدر الأعظم في ٥ فبراير/ شباط عام ١٨٧٧م، ونفاه بوصفه مرتكباً للخيانة العظمى[١٦].

بقي أن نردّ على الشبهة التي تدّعي أن موت مدحت باشا كان بإيعاز من السلطان عبدالحميد.

السلطان عبدالحميد وموت مدحت باشا

من الادعاءات والمزاعم التي زعمتها وقامت بنشرها وبثّها على نطاق واسع الماسونية، واليهودية، والدونمة، والصهيونية، والاستعمار، وعملاؤهم، ومن يسيرون في زفتهم، ووسائل إعلامهم من صحافة ومجلات وكتب وقصص وشعر وغيرها، أن





عندما كان مدحت باشا والياً على البوسنة والهرسك أمر بإضافة الصليب إلى العلم العثماني ذي الهلال والنجمة؛ حتى يكون هذا العلم علم المنطقة المحلي

موت مدحت باشا كان بإيعاز من السلطان عبدالحميد، وأنه لم يهدأ له بال، ولم يرتح ويطمئن، إلا بعد موته، وأنه المتآمر الأكبر، بل الوحيد، على حياة مدحت، وبلغ منتهى السعادة يوم حصل على رأس مدحت باشا - كما زعموا - بعد أن فصل عن جسده وبُعث به إليه. وهو ما ذكره وأكده قدري قلعجي؛ إذ قال: «كان علي بك نجل نامق كمال نائماً مع مدحت باشا في حجرة واحدة، فحطموا باب الحجرة بعد منتصف الليل، وأخرجوه منها، ودخلوا على مدحت باشا فخنقوه». وقال: «ويُقال: إن الطاغية - يقصد السلطان عبدالحميد - لم يطمئن إلى موت أبي الأحرار، فظلّت الهواجس تعصف به، حتى أرسل إلى الطائف أمراً بحفر قبره، وفصل رأسه عن جثمانه، ووضع في صندوق، وأرسل إلى الأستانة، وكتب عليه: مصنوعات من العاج الياباني لجلالة السلطان. فلما تسلّم عبدالحميد هذه الهدية اطمأن، وشاع السرور في قلبه»[١٧].

وقال لطفي ملحس: وقال أهل الطائف: إنهم يقتلون مدحت باشا. وفي الصباح منع جنود السلطان الأحمر الناس عندما جاؤوا يستطلعون الخبر، لكنهم بعد قليل شاهدوا الجثث تخرج من المنازل في ثياب الليلة الماضية، وحفرت لها الحفر، ثم أهالوا عليها التراب، وانتهى كل شيء. وأبلغ الخبر في رسالة عاجلة إلى السلطان الأحمر عبدالحميد، وكان في مجلس شراب له!، فهبّ واقفاً، وراح يسأل الرسول في توتّر، وقد امتدت يده إلى جيبه تتحسّس المسدس، أمتأكد أنت؟!.

قال الرسول: إنه مدفون الآن في الطائف.

ولمعت عينا السلطان السفاح، وقال وهو يضرب صدر الرسول بأصبعه: لن أصدقكم حتى تأتوني برأسه!.

قال الرسول: ولكن يا مولاي، إنه ميت في قبره.

افتحوا قبره، وافصلوا عنقه عن جسده، وأتوني به أصدقكم.

وعاد الرسول إلى الطائف ليبلّغ قائد الحامية رغبة السلطان... إلى أن يقول: وقال قائد حامية الطائف للرسول: ولكن كيف نفتح قبره ونفصل رأسه عن جسده؟!

قال الرسول: إنها إرادة السلطان.

وفي الليل فُتح القبر على ضوء المشاعل، وأخرجت الجثة، وفُصلت الرأس، ووضعوها في صندوق أعدّوه للشحن، وكتبوا عليه: مصنوعات من العاج الياباني لجلالة السلطان، وأرسلت الرأس إلى الطاغية، ففرح أيما فرح، وعاد إليه الاطمئنان، ووزّع الهبات على أنصاره[١٨].

أوردنا هذه الأقوال، وهي غيض من فيض، على سبيل المثال لا الحصر عن علاقة السلطان عبدالحميد بموت مدحت باشا، الذي مكث في سجنه في الطائف ما يقرب من ثلاث سنوات، ألفت عن حياته قصص غريبة عجيبة بأسلوب روايات المغامرات. فالسلطات هناك تحاول قتله عدة مرات، فلا تفلح؛ فمرة تدسّ له السم في الحليب، فيكتشف ذلك خادمه عارف، فيسكبه. ومرة أخرى تدسّ السلطات أيضاً السم في الطعام، فلا تنجح كذلك، ومرة ثالثة، ورابعة، و.... وتحاول إغراء هذا أو ذاك من الخدم أو الحراس والجنود بقتله، فتخفق تلك المحاولات. وأخيراً، اهتدت تلك السلطات إلى رشوة خادمه عارف، وطلبت منه ترك باب غرفة مدحت باشا مفتوحاً من الداخل؛ كي يسهل دخول الحرس إليه ليلاً للقضاء عليه. لكن الخادم يردّ كلّ العروض والمغريات المقدمة إليه من السلطات، ويقوم بإخبار سيّده بالأمر.

وغير هذا كثير مما صوّرته الصحافة اليهودية، وما كتبه الماسونيون والصهاينة وعملاؤهم الذين يسيرون في زفتهم حول هذا الموضوع، ولا يحتاج الشخص إلى ذكاء كبير ليعرف مدى التلفيق والافتراء والكذب في هذه القصص أو المؤلفات والكتب والمقالات، ونحن نقول: إن السلطات لو رغبت في قتله لوجدت - وتستطيع أن تجد - ألف طريقة وطريقة، ولا تحتاج إلى إغراء خادم أو حارس أو جندي بسيط، ولا إلى دسّ السم في الحليب أو في الطعام كما ذكر لطفي ملحس وقدري قلعجي، والسلطات تستطيع

استغلّ مدحت باشا منصبه، فزوّر انتخابات مجلس المبعوثان؛ ليضمن فوز ٤٨ نائباً من غير المسلمين من أصل ١١٧ نائباً هم أعضاء المجلس

نقل الجندي أو الحارس أو الخادم من الإشراف على غرفة مدحت باشا إلى مكان آخر، وتأتي بآخرين ينفذون ما تأمرهم به، أو تقوم بنقل مدحت باشا إلى سجن آخر، أو مكان آخر.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن غرف السجن لا تُغلق من الداخل، بل من الخارج، والمفاتيح تكون دائماً عند المسؤولين عن السجن. وعلى فرض أن الباب يُغلق من الداخل، ما السرّ في إغلاقه؟ ولماذا أغلق هكذا؟! وإن كسر باب مغلق ليس بشيء صعب ولا مستحيل على سلطات الدولة!!. ثم لماذا وضع المسؤولون جنديين على باب كل غرفة مسجون، ووضعوا في ساحة السجن عدداً من الجنود شاكي السلاح ليلة تنفيذ حكم إعدام مدحت باشا كما ذكر قدري قلعجي[19]؟!

قال السلطان عبدالحميد في مذكراته: «كانت مسألة استشهاد السلطان عبدالعزيز في يد القضاء خطوةً بخطوة،

سجين فحسب!

لم يكن مدحت باشا سوى سجين كبقية السجناء، ولم يكن في موقع الصدارة العظمى؛ أي: موقع القوة؛ حتى يحتاج قتله إلى تدابير سرية؛ كدسّ السم، أو رشوة خادم، بل هو تحت سيطرة السلطات تستطيع أن تفعل به ما تشاء. ولو أراد السلطان قتله فمن الذي يمنعه وهو الآمر والناهي، وأمامه مئات الطرائق للتخلص منه؟! ولماذا لم يحاول قتله قبل ذلك الوقت؟! ثم ما الفائدة التي سيجنيها من قتله، خصوصاً بعد مرور تلك السنين الثلاث على سجنه، التي جعلت معظم أفراد الشعب ينسونه، ولا يتذكرون أو ينطقون أو يذكرون اسمه، إلا القلة القليلة من أقربائه ومن المقربين إليه؟!.

(١) قال القائد عبدالله التل رحمه الله: «ومن أشهر يهود الدونمة قبل مصطفى كمال مدحت باشا، الذي أصبح صدراً أعظم، وتنقّل في حكم ولايات عثمانية عديدة؛ منها: سورية... ثم دبّر مؤامرة خلع السلطان عبدالعزيز، ومؤامرة اغتياله بعد ستة أيام من خلعه. وهو ابن حاخام يهودي مجري، اشتهر بالمكر والخداع والدهاء، فوصل إلى أعلى مناصب الدولة؛ ليكون أقوى يهودي يتمكّن من بذر الفتن في الدولة العثمانية، متظاهراً بالإسلام، ومبطناً يهوديته الحاقدة الماكرة». انظر: الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ص٧٦.

(٢) قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، دار العلم للملايين، ص٩، وصديق الدملوجي، مدحت باشا، بغداد: مطبعة الزمان، ١٩٥٢- ١٩٥٣م، ص٢٦. ويذكر نعمان عاشور أن أباه سمّاه الحافظ؛ تيمّناً بأنه سيقرأ القرآن، ويكون له من الحافظين. انظر: صور من البطولة والأبطال، القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، مذاهب وشخصيات، ع٨٧.

(٣) زياد أبو غنيمة، جوانب مضيئة في تاريخ الأتراك العثمانيين، عمّان: دار الفرقان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص٥٢، ٥٣.

(٤) عبدالله التلّ، الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام، ص٧٧.

(٥) أورخان محمد علي، السلطان عبدالحميد الثاني: حياته وأحداث عهده، مكتبة دار الأنبار، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص١٧١.

(٦) علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، بغداد: مطبعة الإرشاد، ١٩٧١م، ج٢، ص٢٦٣.

(٧) يقول أرنست أ. رامزور: «نجح يهود الدونمة بمساعدة محافل الماسون في تكوين جمعية تركيا الفتاة التي كان مدحت باشا نفسه أول مؤسّسيها». انظر: تركيا الفتاة وثورة ١٩٠٨م، ترجمة: صالح أحمد العلي، بيروت: منشورات مكتبة دار الحياة، ١٩٦٠م، ص٤١.

(٨) صديق الدملوجي، مدحت باشا، ص١٢٩.

(٩) موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض أو السلطان عبدالحميد الثاني والخلافة، الكويت: مطبعة دار الكويت للصحافة والأنباء، مايو/ أيار عام ١٩٨٤م، ص٥٨، ٥٩. وانظر أيضاً: محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، دمشق: دار الفكر، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م، ص١٩٢. والسلطان عبدالحميد الثاني، مذكراتي السياسية (١٨٩١- ١٩٠٨م)، بيروت: مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

(١٠) صديق الدملوجي، مدحت باشا، ص١٢٨.

(١١) موفق بني المرجة، صحوة الرجل المريض، ص٥٩. ومحمد مصطفى الهلالي، السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، ص١٩٣.

(١٢) عبدالقديم زلوم، كيف هُدمت الخلافة؟، ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٢م، ص٣٩.

(١٣) قال رفيق شاكر النتشة: «كان مدحت باشا مشكوكاً في حسن نيّته، وفي

ولم أتدخل في شيء سوى في تخفيف قرار الحكم بالإعدام»[٢٠]. وإذا كان موته غير طبيعي فليس لي دخل في ذلك. وبعد وفاته بعشر سنوات تقريباً نشرت في أوربا رسالة باللغة التركية، وردت فيها مجموعة من التفصيلات والأسماء المشتركة في قتله، وإذا كان ما ورد في هذه الرسالة صحيحاً فيتّضح منها أنه ليس بين المشتركين في الحادثة من ينتمون إليّ؛ فليس لي علاقة بها. وفي الحقيقة كنت دائم التخوّف من مدحت باشا، ولكن وقت صدور حكم المحكمة رأيت أن إنساناً معروفاً بهذا القدر يستوجب ألا ينفذ فيه حكم الإعدام[٢١]. ثم ما الفائدة فيما لو قتلته؟ بكل تأكيد إنني لن أفيد شيئاً إذا وضعت عدوي في مصافّ الشهداء، سأفرض أن هذه الفرية الموجّهة ضدي صحيحة، وأقبلها على علاّتها، فكم من خليفة محا من الوجود في لحظة كلّ من تخوّف منه، أو وجده يعمل ضده، ألم يعدم الخليفة العباسي المنصور - وهو من أكبر الخلفاء المسلمين - أبا مسلم الخراساني صاحب الفضل على الأسرة الدوانقية؟! وهارون الرشيد، ألم يعدم جعفر البرمكي، وكان من أصدقائه الخلّص؟! بل لم يقنع بهذا فقط، وإنما (ظلم) أقاربه أيضاً. أليس هذا أخطر من معاملتي لمدحت باشا؟ خاصة أني اكتفيت فقط باتخاذ الإجراء الاحتياطي ضد اعتداء متوقّع من مدحت باشا الذي لو وجد الفرصة لإيذائي لفعل، وهو ما كنت أتوقعه.

لم ألحق أدنى ضرر برجل من رجاله في الوظائف المختلفة، بل عيّنت بعضهم في وظائف وصلت أحياناً إلى درجة الصدارة العظمى؛ مثل: عبدالرحمن باشا، وخليل رفعت باشا، عندما رأيت صلاحيتهم، وعيّنت من رجاله أيضاً المشير شاكر باشا، ورائف باشا، في مراكز الدولة المهمة[٢٢]. وكنت أمرتُ بصرف مرتّبه إلى أسرته.

أنه كان يعمل للمصلحة العامة، وليس لمصلحته الشخصية، بل كان متهماً بأنه يعمل بالتعاون مع الدول الأجنبية الاستعمارية». انظر، السلطان عبدالحميد الثاني وفلسطين، القاهرة: مكتبة المدبولي، ص٤٨.

(١٤) محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، ص٦٩، ٧٠.

(١٥) أورخان، السلطان عبدالحميد الثاني، ص١٢١.

(١٦) محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، ص٧٢.

(١٧) قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص١٠٦.

(١٨) لطفي ملحس، مدحت باشا، مجلة (حماة الوطن) الكويتية، ع٣٨.

(١٩) قدري قلعجي، مدحت باشا أبو الدستور العثماني وخالع السلاطين، ص١٠٦.

(٢٠) عندما حكمت المحكمة بالإعدام على مدحت باشا، بعد ثبوت الجريمة التي قام بها، وهي اشتراكه في قتل السلطان عبدالعزيز، تمهّل السلطان عبدالحميد في المصادقة على هذه الأحكام، فشكّل لجنةً مؤلّفةً من خمسة وعشرين شخصاً من كبار رجال الدولة وعلمائها مدنيين وعسكريين، وخوّل لهذه اللجنة صلاحية تصديق هذه الأحكام أو تعديلها. وقد صوّت ١٥ عضواً من هذه اللجنة بالتصديق على أحكام الإعدام؛ أي أن الأكثرية صادقت على قرار الإعدام. وكان المشير عثمان باشا - بطل معركة بلفنا - الذي كان معروفاً بنزاهته واستقامته واستحالة التأثير فيه من أيّ شخص من بين الذي صادقوا على قرار الإعدام؛ إذ كتب ما يأتي في سجل المجلس: «إن تنفيذ الأحكام القانونية هو من الأمور المقدسة، ولما كان الشهيد المرحوم سلطاناً لذا فإنني أسترحم من سلطاني تنفيذ الأحكام لكي يكون عبرةً لمن اعتبر». ومع ذلك، فإن السلطان عبدالحميد خفف أحكام الإعدام إلى السجن المؤبد على عادته في الابتعاد عن إزهاق الأرواح. وسيق المحكومون إلى سجن الطائف في غرّة رمضان سنة ١٢٩٩هـ/ ٨ يوليو (تموز) عام ١٨٨١م.

(٢١) لا كما يدّعيه بعض الكتّاب من أن السلطان إنما خفّف الحكم بضغط من الدول الأجنبية الاستعمارية وسفاراتها، وخوفه من ذلك؛ مما أجبره على تخفيف الحكم لا تنفيذه. وهذا الأمر لا يعني أن ذلك الضغط أو التدخّل لم يكن له مفعول، أو أن السلطان لم يُعرْه أهمية، ولم يأخذ به، لكن الذي نريد أن نقوله ونؤكده أن الدول وسفاراتها لو لم تتدخل في قضية مدحت باشا لخفّف السلطان أحكام الإعدام على عادته في عدم اللجوء إلى مثل تلك الأحكام، والابتعاد من إزهاق الأرواح، لا كما وصفه قلعجي وملحس وغيرهما كثيرون بالسلطان الأحمر، والسفاح، والمستبد، وغيرها.

(٢٢) محمد مصطفى الهلالي، السلطان عبدالحميد الثاني بين الإنصاف والجحود، ص٦١، ٦٢.

- جلال يحيى، العالم العربي الحديث: المدخل، مصر: دار المعارف، ١٩٦٦م.
- محمد مصطفى الهلالي، شخصيات تحت المجهر، كتاب مخطوط.

حديث الهدهد

«لجبر الرجل، للطائف، للرجل الطائف»

محمد جبر الحربي

الرياض – السعودية



١- جَبْرَة[١]:

أحنّ إلى جنةٍ لم تكن آخر **الغابراتِ**
جنانُ ندى
كجبال الهدا[٢]
طيلة العمر تسحبني للحجازِ
إلى خبلٍ في الحجازِ
وطفلٍ له العمرُ
والعنب الطائفيّ الشّفيف.

أحنّ إلى بسمتي للرغيف.

أحنّ إليك.. أحنّ إليهِ
ومغترباً لست أدري
لماذا يزلزلني الوقتُ
ذاك الغنيُّ الكريمُ

شعر

وهذا البخيلُ المخيفُ؟.

أحنّ إلى هدهد عالم بالحياة
اصطفيتُ له الموتَ عصريةً
عصرَ (جَبْرَةَ)
والعمرُ طفلٌ
ووحدي أصوّب برداً حديداً
على الخضرة البكرِ والماءِ
والهدهدُ المطمئنُ إلى حكمةٍ
يتهادى على ماء حكمته
وأصوّبُ
أستغفرُ اللهَ
كنتُ صغيراً بما بي من الجهل
خلفَ اختباء المياه
وكان عظيماً بما يعدل العالمون بصمتٍ
وكان الملك.

وأستغفرُ اللهَ ما أقبل العمرُ
أني اختصرتُ المسافة
بين الحياة وبين الممات
وبين الفراشات يَنظُرْنَ من هيبة اللونِ
والهدهدُ المستفيقُ على طلقةٍ في الضمير
يخرُّ على الماء
يلقي مهابةَ عمرٍ على الماء في لحظةٍ
وهو يهتفُ
ما كان عدلاً، وما كان حكماً
وما كان من حكمة في الممات على طلقة..
كان جمعٌ من الشجر الآدميّ بطرفٍ
يغضّون طرفاً عن الهاء
كانت نساءً من النغم الشجريّ الحزين
وكانت أصابع من ندمٍ خلف روح الولد

آه! كانَ الولدْ
يحاول أن يرجع الماءَ
والهدهدَ المتعاليَ
والأغنيات على فرح
والفراشَ إلى غيمةٍ في المساءِ
وجَبْرَةَ
كان الولد..
وكان الزمان جميلاً
لكم كان طفلاً جميلاً
وكان بخيلاً على طلقةٍ عند جَبْرَةَ
أن لا تئِدْ..

٢- عودة الهدهد:
كنت قتلتك طفلاً
على شقوةٍ عصرَ جبرةَ
وارتدّ لي بصري
ففطنتُ:
أواريك، قلتُ: جوارَ غديرٍ بجبرةَ
وامتدّ عمرٌ
وما عُدْتُ أذكر ميتتك النادرة.

كيف مرّ الزمان
وآن الأوان
لكي ما تعود إلى وحشتي
وتطلّ عليّ بمكرٍ
وتسأل عن صحتي
بعينين داهمتين
ومن عُرْف زهوك تقطع مني الوتينْ
فمن أين جئتَ؟
وكيف انطلقتَ من العقلِ؟
قد كنت أحكمتُهُ

كنتُ أحكمتُ بالجهلِ دفنك
من أين جئتَ؟
أمن يَمَن لم يَعُدْ بالسعيد
وباعد ربٌّ مسافاته
قضّه السيل والفقر؟!
هل جئتَ من سبأ باليقين؟!
هل أتيتَ به ناشراً جناحيك مع الغيم
أم من عراق الخراب وغربانه
بدّل اللهُ منه السوادَ بخضرتِهِ
فاكتفى بالسواد؟!.

يا صديقي اللدود أجبني
أمن سِفر بابلَ جئتَ إليَّ؟!
من السحر أقبلتَ
كيف اتساقٌ؟!
وكيف التفرّق في لحظةٍ عابرة؟!

هل أتيت تعذّبني؟!
أيها الهدهد العذب
قد كنت طفلاً
فكيف على آخر العمر تأتي
تهدّد بالصحو نومي
تبعثر أرجاء مملكتي
وتسنّ النبال بنظرتك الماكرة؟!

هل تريد انتقاماً من الأعين القتلتك صغيراً؟!
هل أتيتَ إليّ لتقتلني
آخذ للهداهد بالثأر؟!
هل جئتَ تأسرني؟!
قد فعلتَ بحسنك

عند الغدير
أتذكر؟!
في الطائف المتأرجح بين بقايا القبائل
والتركِ
والفطنة النادرة.

هل ستذكرُ
كيف انتزعتك من بهجة الحسن يا صاحبي؟!
كيف حلّ بك القتل؟!
كانت رصاصة حلم كحبةِ قمحٍ
فكيف تعود من الموت؟!

كيف أتيت إليّ من الغابرين؟!
وكيف التربّصُ؟!
من قاد عينيك نحو اشتعالٍ بعينيَّ يا هدهدي؟!
هل أتيتَ لتخبرني عن بلاد فُتِنّا بها؟!
كم شقينا بوجدٍ عليها؟!
أتَعبتَ يا القتيلَ اليدين اكتفينا؟!
سأخبرك الآن عن قصتي فاروها:
أخبر الناس
أخبر سليمان أنّا
تقطّعت الأرض من حولنا
ومادت بنا السفن الغاديات

وما أثمرت سحبنا بالرّواحِ
وما كان فينا يهودٌ
لكي تتشابه أبقار تلك القرى
ما اعتدينا بسبت
لكي نتمزّق في التّيهِ
سُبحانَهُ
كيف ضاعت بلادٌ تعبنا على فتح أسوارها؟!
كيف صِرْنا أُسارى؟!
متى يثمر الله فينا المطرْ؟!
سليمانُ ماتَ
أتذكر؟!
والجنّ مُستعبَدٌ رأسُهم
وهمهم
فكيف غدونا على الوهمِ مستعبداتٍ ضمائرنا؟!
وما من قيود لتحجب عزّتنا
نحن قومٌ لنا الأرض طاهرةً
والصفوف لنا كانتظام ملائكةٍ للإلهِ
فأطلق خيالك يا قاتلي العذب
شدّ انتباهي
وإن شئتَ قتلي
وإن شئتَ عفواً
فمرّ عليّ كثيراً
لتسألَ عن صحتي
أقم قرب بيتي
هناك أقم
واستعد صفو روحي
ومن دون قتلٍ
أعِدْ جذوةً للحياةِ بحكمتك الباهرة.

(١) جَبْرَة: ماءٌ على بعد شجر من الطائف، كان يزورها محفوفاً بالطفولة، مشياً على العين.
(٢) جبال السروات.





تقى المرسي
دمياط – مصر

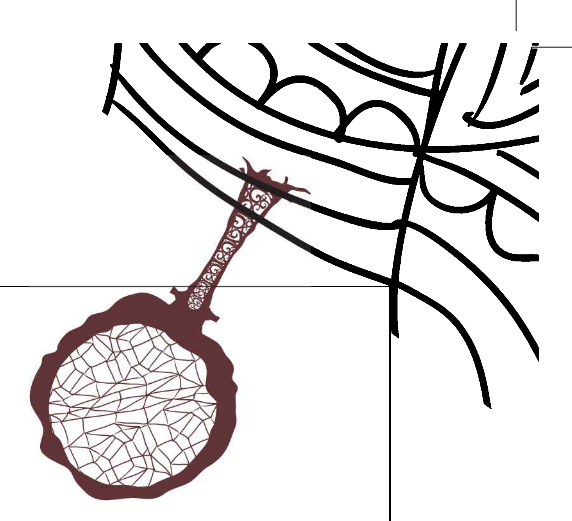
أُرمـــم وجه الـــنـــهـــار!!

هُنَالكَ
في مَدْخلِ المُدنِ الواهنة
تعُودُ العصَافيرُ للصَّدرِ
بعدَ اتقاءِ النَّدَى
سَاكنة
تعُودُ لكي
تسْتَحمَّ بماءِ العيونِ
تُربِّي صِغارَ الهَوَى
والحَنين
ترتِّبُ أشْواقَنَا السَّاخنة
هُنالكَ
أزرَعُ كلَّ اشْتياقٍ على مفرَقيْك
رؤى لا تَموتُ
تُعلقني غيْمةً للغِيابِ

على شُرْفةٍ غافلتْها العُيونُ
على مَدْخلِ المدنِ الوَاهِنة
وتَسْكُننِي
نهرَ حزنٍ صغير
إذا ما اصْطفيتُكَ أرضاً وظِلاً
ومَا
أشْتَهي أنْ تكونْ
فتسْكُبني
نهْرَ حُزنٍ صغيرٍ..
فتَغْفو..
وعيْناكَ أحْلى تَمائمَ تسْترْجعُ الأزْمِنَة
كأنّك زهوُ البلادِ التي تَرْتَديني
إذا غادَرَتْها مُنَاخَاتُ قلبِكَ
قُلْ لي

ولسْتُ الغريبةَ عنْ جَامِحاتِ الحُرُوفِ
إذا راودَتْني
فهلْ للبلادِ طقوسٌ تُرَمِّمُ وجْهَ النَّهَارِ
تبلّلُ أروَاحَنا اللّيِنَة
وتمْسَحُ دَمْعتَنَا المُزْمنة؟!
وهلْ للجداولِ أنْ تسْتَعيدَ
اخضراراً مَضَى
في ذبُولِ
طوَتْهُ رَحًى قَسْوةٍ خَائنة؟!
لعلَّ الفُصُولَ التي أخْطأتْنا
إذا ما استحَالتْ درُوبُ الرُّجُوعِ
تَعُودُ بأحْلامِنا المُمْكنة
تَعُودُ بأحلامِنا الآمِنَة!

شـعـر



كناشة التراث

أبو القاسم وليد بن عباس بن عبدالله الأصبحي، ويعرف بأبي العربي

قال أبو عبدالله محمد بن فرج: لمّا خرج أبو القاسم ابن العربي من قُرطبة، وسار إلى طُليطلة، أقرأ في جامعها، فجرى بينه وبين التبريزي منازعة ومشاجرة في جامع طُليطلة، ووقع بينهم تنازُع، وذلك أنّ أبا القاسم ابن العربي سمع التبريزي يقول في قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاء وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ (القصص: ٨٦) : إن «ما» بمعنى الذي، والمعنى أن الله عزّ وجلّ اختار لعباده في إرساله الرُّسُل ما كانت لهم الخِيَرَةُ في ذلك. فقام إليه ابن العربي وخطّأه، وقال: المعنى أن الله عزّ وجلّ هو الذي اختار، ولم يكن للعباد أن يختاروا، فيُختار هنا الوقفُ. وصوّب ذلك فقهاءُ طُليطلة وقُرطُبة، ومكيّ المقرئُ معهم، وخطّؤوا قول التّبريزي، ولم يلتفتوا إليه.

أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا الإفليلي القُرشي الزُّهري

قال أبو عبدالله الحُمَيْدي: أخبرني أبو محمد الحسن بن علي القارئ بمصر، عن أبي مروان الطُّبْني، قال: حدّثنا أبو القاسم إبراهيم بن محمد بن زكريا القُرشي الزُّهري، قال: كان شيوخُنا من أهل الأدب يتعالمون أن الحرف إذا كُتب عليه (صحّ) بصادٍ وحاء أن ذلك علامة لصحة الحرف لئلا يتوهَّم متوهِّم عليه خللاً ولا نقصاً، فوُضع حرفٌ كامل على حرف صحيح. وإذا كان عليه صاد ممدودة دون حاء كان علامةً أن الحرف سقيم إذا وُضع عليه حرفٌ غيرُ تامّ ليدُلَّ بعضُ الحرف على اختلال الحرف، ويُسمَّى ذلك الحرفُ ضَبَّةً؛ أي: إن الحرف مُقفَلٌ بما لا يتّجهُ لقراءة، كما أنّ الضَّبَةَ مُقفَلٌ بها.

قال حيانُ بن خَلَف: وجدتُ بخطِّ بعض أصحابنا، قال: لما أقام محمد بن أبي عامر الرَّهْطَ المُتَّهمين بالدَّهر للناس بعُلِّيَّة بابِ الصَّدَقة غَرْبَ المسجد الجامع بقُرطبة، واتّصل النِّداءُ على رؤوسهم، سقَطَتْ يوماً من كُمٍّ سعيد بن فَتْحونَ السَّرَقُسْطي، المُلقّب بالحِمار، رقعةٌ فيها هذه الأبيات (من البسيط):

يا ربِّ يا ربِّ أنت الواحدُ الصمدُ
وأنت في مَلَكوتِ العزِّ منفردُ
وأنت تعلمُ إيماني وأنّي للتّـ
ـوحيد والدِّين بالإسلام مُعتقِدُ

وأنّ هــذا الـــذي نمَّ الـعـدوُّ بـه
إلى الإمــام المُـعـلَّـى المُـرتـضَـى فَـنَـدُ
فـاعـطِـفْ عـلـيَّ قـلـوبَ المسـلـمـينَ فقد
تــرى مـقـامـي وتـــدري حَـــرَّ مـا أجـدُ

قال: وكان ابن أبي عامر قد حَظَرَ على السجّانين أن يُدخلوا إلى عبدالعزيز بن الخطيب دواةً ولا صحيفة، فكان السجّانون يُفتِّشون طعامَهُ وإناءَ شَرابِه، فلا يَجِدون شيئاً. قال: فاحتالَ أهلُهُ بإيصال المِدَاد إليه في إناء الزَّيت مُطبَقاً بينهما بحاجز، وسَقَوْا منديلَهُ بالنَّشا، فكان يكتُبُ عليه أشعارَهُ، ويُخرجُها إلى أهله، فتُنقل وتُرفَعُ إلى ابن أبي عامر، فيطولُ بذلك تعجُّبُهُ، فلم يزَلْ يمتَدحُهُ ويتذلّل له إلى أن رقَّ له، فأخرجه من المُطْبَق، وصار أمرُهُ إلى ما تقدَّم.

أبو الحسن مختار بن عبدالرحمن بن سَهَر الرُّعَيْني

قال أبو عبدالله بن فرج: مرَّ أبو الحسن بنُ سَهَر، وكان رجلاً عظيماً ذا هيئة حسنة، وشارة جميلة، وهو راكبٌ على دابته، على صَحَّاف معَهُ طبَقُ كعك، فأفسدت الدابةُ الكعكَ، وكسَرَت الطَّبق، فنَهَضَ الكَعْكيّ إلى صاحب المظالم علي بن عبدالرؤوف، وذَكَرَ له ما جَرَى له مع ابن سَهَر، فأرسل فيه، وقال: لا بدَّ أن تضمن ما أفسدت، فكأنه لم يَرْضِ قولَهُ، وتفَصَّح عليه، فقال ابنُ عبدالرؤوف لجُلسائه: سبحان الله! أيُّ خُلَّة مباركة حيثُما كانت لم تَستَتِرْ، يريدُ قلّةَ عقله، ورَمَاه بنُقْصان العقل، فخرَجَ ابنُ سَهَر من عنده وقد قامت عليه قيامتُهُ.

قال محمدُ بن فرج: فقلتُ أنا للقُرشيّ الشِّبَنْسيّ: إن هذا لعار! يُقابلُ مثلَ هذا الرجل بمثل هذا الكلام؟! فقال لي: أخَذَ فيه بقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقُل لَّهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلاً بَلِيغًا﴾ (النساء: ٦٣). قال محمد بن فرج: فعجِبتُ من طبْعِه ونزوعه بالآية في مثل ما جاء به. قال محمد بن فرج: والشِّبَنْسيّ هذا هو الذي نجا من القتل على الزَّندقة بفُتْيا الفقيه أبي عُمَر الإشبيلي.

أبو عَمْرو عثمانُ بنُ أبي بكر بن حَمّود الصَّدَفيّ السَّفاقُسيّ

حدثني أبو بكر بن خازم بسَنَده إلى ابن عَوْن، قال: بينما سُليمانُ بن داودَ عليه السلام قاعدٌ في مجلسه؛ إذ نظَرَ إلى بُلبُل يُراودُ بُلبُلةً عن نفسها، فأبَت عليه، فقال: تمنَعينَني نفسَك؟! فوالله لو سألتني أن أحمل قُبَّة سُليمان بن داودَ على فرد جناح لفَعَلتُ. فاستضْحَكَ سُليمانُ بن داود عليه السلام، ثُم دَعَا به، فقال: قد سَمعتُ مقالتك، فهل تُطيقُ ذلك؟ قال: يا نبيّ الله، ألا إنّ المحبَّ إذا أحبَّ حبيبه، فامتنع عليه، بَذَلَ من نفسه فوقَ طاقته.

أبو القاسم سَوَارُ بنُ أحمد بن سَوار

قال محمد بن نَبَات: قيل لسُفيانَ بن عُيَيْنة: ها هنا رجلٌ يتكلَّمُ بالقَدَر، قال سُفيانُ: كنتُ بعرَفَات، فسمعتُ أعرابياً ما سمعتُ أفْقَهَ منه يقول: اللهمَّ إليك قدمتُ وأنت أقدَمْتَني، وإليك خرَجْتُ وأنت أخرجتني، أطَعْتُك بإذنكَ؛ فلك المنَّةُ عليَّ، وعصَيْتُك بحِلْمكَ؛ فلك الحُجَّةُ عليَّ؛ فبوجوب حُجّتكَ عليَّ، وانقطاع حُجَّتي، إلا أقْلَبْتَني بذنبٍ مغفورٍ يا أرحم الراحمين.

قطعة من كتاب عيون الإمامة ونواظر السياسة لأبي طالب المرواني (٤٥٠- ٦١٥هـ)، حقّقه وعلّق عليه: بشار عوّاد معروف، وصلاح محمد جرّار، سلسلة التراجم الأندلسية (٦)، دار الغرب الإسلامي، تونس.





مناسبات

العيد: شلالات الفرح وفضاءات الابتهاج!

عدنان عبدالقوي الشميري

صنعاء – اليمن

خلفية تاريخية

على مرّ العصور التاريخية المختلفة اتّخذت الأمم والشعوب من الأيام والمناسبات التي ارتبطت بصنع تحوّل، أو تحقيق نصر، أو بروز حدث له دلالة معينة، اتخذت منها أعياداً لتمجيد تلك الأيام، وتخليدها، واستشعار دلالاتها ومعانيها، والتذكير بها، وإحيائها في النفوس. وقد جاءت العبارات القرآنية الواضحة لتكشف من جانبها عن حقيقة شيوع الاحتفاء بالعيد في الأزمنة الغابرة؛ فالآية الكريمة: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ (الحج: ٣٤)، قال ابن عباس: أي: عيداً، وقال عكرمة: ذبحاً[٢]. والآية الكريمة التي وردت على لسان نبيّ الله موسى – عليه السلام – في سياق الأسلوب القرآني الذي استعرض مشاهد حيةً من قصته مع الطاغية فرعون بعد أن ذهب موسى إليه بالآيات، وما قُوبلت به من جحود: ﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ (طه: ٥٩)، قال المفسرون، ومنهم ابن كثير: إن يوم الزينة هو يوم عيدهم وتفرّغهم في أعمالهم[٣].

وقد ورد مصطلح (العيد) صراحةً في القرآن الكريم، كما يكشف ذلك ما قاله سبحانه وتعالى على لسان عيسى عليه السلام: ﴿قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ﴾ (المائدة: ١١٤)؛ إذ جاء العيد بمعنى: سروراً وفرحاً، أو يوماً نعظّمه. وتشير أمّات كتب التاريخ إلى أن كثيراً من الأمم المتعاقبة قبل مجيء الإسلام كانت تتخذ من أيام الدهر أعياداً تحتفي بها، كما تشير تلك المراجع إلى أن أعياد الأمم الجاهلية قبل ظهور الإسلام ارتبطت بمناسبات دنيوية، وهو ما جعل من اللهو والطرب والمجون وغيرها أبرز مظاهر الاحتفاء بتلك الأعياد.

لا يحلّ على الأمة العربية والإسلامية عيد من الأعياد إلا وتسترجعُ ذاكرتنا في الأغلب بيت الشعر العربي الذي أطلقه مدوياً مالئ الدنيا وشاغل الناس أبو الطيب المتنبي في مستهلّ قصيدته[1] التي هجا بها كافور الإخشيدي سنة 350هـ قبل مسيره من مصر بيوم واحد:

عيدٌ بأيةِ حالٍ عُدتَ يا عيدُ ... بما مضى أم بأمرٍ فيه تجديدُ؟!

أما الأحبةُ فالبيداءُ دونهمُ ... فليتَ دونكَ بيداً دونها بيدُ

لولا العلى لم تجب بي ما أجوبُ بها ... وجناءُ حرفٌ ولا جرداءُ قيدودُ


إفطار جماعي في صباح العيد

العيد في الإسلام: مقاصد ودلالات

شرع الله تعالى للمسلمين عيدين اثنين فقط، هما: عيد الفطر، وعيد الأضحى؛ لحديث أنسٍ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «كان لأهل الجاهلية يومان في كل سنة يلعبون فيهما، فلما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة قال: كان لكم يومان تلعبون فيهما، وقد أبدلكم بهما خيراً منهما: يوم الفطر، ويوم الأضحى»[٤].

ومصطلح الخير الذي ورد في الحديث السابق يحمل دلالات واضحة تشير بما لا يدع مجالاً للشك إلى تميّز الأمة الإسلامية ممن سواها من الأمم الأخرى، حتى بعيديها اللذين لم يُشرعا ارتباطاً بمناسبات دنيوية كما هو حال أغلب الأمم الجاهلية، بل ارتبط تشريعهما بمناسبات دينية، وهو ما يستوجب إدراك دلالات العيد، واستشعار معانيه. فعيد الفطر الذي شرع الله فيه صلاة العيد، وقدرها

ركعتان، وربطها بعدد من التكبيرات تعظيماً وتكبيراً لله وشكراً له في هذا اليوم، يمثّل نصراً بإتمام أداء فريضة الصوم في شهر رمضان المبارك الذي أنزل فيه القرآن؛ ليمثّل الفطر في ذلك اليوم بعد الامتناع عن الأكل والشرب وسائر المفطرات الأخرى يومَ فرحٍ للصائم بإتمام صيام الشهر، وقيامه، والتلذّذ بقراءة القرآن طوالَ لياليه وأيامه؛ لذلك سُمِّي يوم الجائزة. وحتى تكتمل الفرحة في هذا اليوم تتجلى أمامنا الحكمة من مشروعية زكاة الفطر في بُعديها: الديني بوصفها نوعاً من تطهير الصوم، والاجتماعي المتمثّل في إدخال الفرح والسرور على الفقراء والمحتاجين ليعيشوا من جانبهم فرحة العيد «اغنوهم في ذلك اليوم».

وعيد الأضحى الذي شرع الله فيه صلاة العيد، وقدرها ركعتان أيضاً، وقرنها بعدد من التكبيرات تكبيراً وتعظيماً لله تعالى وشكراً له في ذلك اليوم المشهود بشعيرتي الأضحية والحج، بوصفهما أبرز حدثين في يوم عيد الأضحى، يرتبط تشريعهما الأول بأبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذي سمّانا بالمسلمين: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۞ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (البقرة: ١٢٧- ١٢٩)، ﴿وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ۞ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ۞ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ﴾ (الحج: ٢٧- ٢٩)، ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ ۞ لِلْجَبِينِ وَنَادَيْنَاهُ أَن يَا إِبْرَاهِيمُ ۞ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۞ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ۞ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ (الصافات: ١٠٢-١٠٧).

وبالتأكيد، فإن الدلالات العظيمة ليوم عيد الأضحى التي ترتبط بتلك الأحداث تجسّد حقيقة واحدية الرسالة السماوية، وحقيقة واحدية التشريع، واتصال رسالة خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم برسالة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وهو ما يجسد أيضاً بدوره حقيقة الخير الذي ورد في سياق الحديث السابق.

أعياد غير المسلمين

على الرغم من تعدّد الأعياد عند غير المسلمين[٥]، خصوصاً

أحضان وتبريكات



الملابس الجديدة ملمح رئيس من ملامح العيد



أعياد اليهود والنصارى، إلا أن بعضها ذو طابع ديني اعتقادي، وبعضها الآخر ذو طابع دنيوي.

وأكثر الأعياد قداسةً عند اليهود هي الأعياد المذكورة في التوراة في سفري اللاويين والتثنية. ويعدّ عيد الغفران أقدس الأعياد وأهمها على الإطلاق عند اليهود، ويصادف يوم العاشر من الشهر السابع Tishir من التقويم اليهودي، ويصادف في التقويم الميلادي سبتمبر ومطلع أكتوبر، وهو يوم عطلة وصيام للاستغفار من الخطايا. وبحسب التراث الحاخامي، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي أنزل فيه موسى عليه السلام من سيناء للمرة الثانية ومعه لوح للشريعة؛ إذ أعلن أن الربّ غفر لهم خطيئتهم في عبادة العجل الذهبي.

ومن الأعياد الأخرى عند اليهود: عيد الفصح، الذي يصادف الـ١٥-٢١ من نيسان/ إبريل، ويستمر مدة سبعة أو ثمانية أيام، ويسمى عيد الفطير، ويرمز بحسب المعتقد اليهودي إلى خلاص بني إسرائيل من العبودية في مصر، وخروجهم منها بقيادة موسى وهارون ويوشع. وكذلك عيد رأس السنة، والعرش، والأنوار، والأشجار، وغيرها.

ومن أشهر أعياد النصارى: عيد الميلاد، الذي يصادف ٢٥ ديسمبر من كل عام، أما إقامة شجرة عيد الميلاد فهي عادة ألمانية الأصل، وعيد الفصح، أو عيد القيامة، الذي يعتقد النصارى أن المسيح احتفل بذبح خروف الفصح مع الحواريين يوم الخميس، وسُمِّي بالعشاء الأخير، وأنه حُوكم يوم الجمعة، وحُكم عليه بالصلب في ذلك اليوم. ويُسبق عيد الفصح بالصيام الذي يدوم أربعين يوماً. ومن أعياد النصارى أيضاً: العنصرة، والغطاس، والتجلّي، وغيرها. وقد جاءت الآيات القرآنية الواضحة لتكشف وتؤكّد أن المسيح عيسى عليه السلام لم يُصلب ولم يُقتل، وإنما رفعه الله تعالى إليه، وأن الذي صُلب على الخشبة هو شخص آخر يشبه المسيح عليه السلام: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ (النساء: ١٥٧).

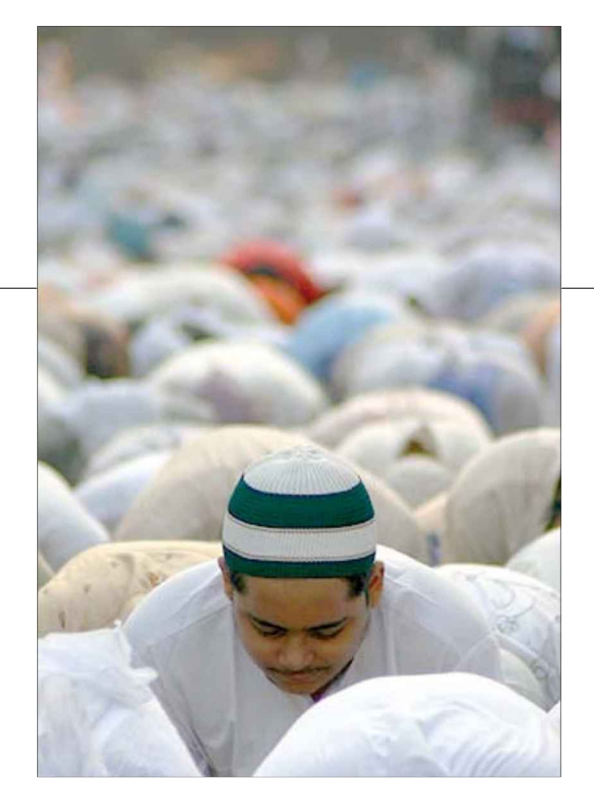
اهتم الفاطميون بالأعياد الدينية، منها: عيد الفطر، والأضحى، ورأس السنة الهجرية، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي ابن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرها

تحوّلات في مسار الاحتفاء بالعيد

حفل عدد من أمّات كتب الحديث والفقه بالآداب والسنن الإسلامية التي ينبغي على المسلم فعلها يوم العيد، كما أبرز جانباً من مظاهر الاحتفاء بالعيد في صدر الإسلام، بما فيها شيوع التهنئة؛ إذ نسب إلى جبير بن نفير قوله: «كان أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم إذا التقوا يوم العيد يقول بعضهم لبعض: تُقبل منا ومنك. قال ابن حجر: إسناده حسن»[٦].

ويشير السيوطي في كتابه (تاريخ الخلفاء)[٧] إلى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه هو من قدّم الخطبة في العيد على الصلاة، وأن علي بن أبي طالب أعاد الوضع إلى ما كان عليه. ويشير في موضع آخر أيضاً إلى أن أول من أحدث الخطبة قبل صلاة العيد هو معاوية بن أبي سفيان.

وعلى الرغم من حدوث تحوّلات في مسار الاحتفاء بالعيد في العصرين الأموي والعباسي، لا يتسع المقام هنا لتناولها، إلا أن التحول الكبير في ذلك المسار برز في العصر الفاطمي[٨]؛ إذ اهتم الفاطميون بالأعياد الدينية في شيء كثير من الأبّهة والعظمة[٩]، منها: عيد الفطر، والأضحى، ورأس السنة الهجرية، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم، ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وغيرها. وكان يُقام في ليلة عيد الفطر بالإيوان الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط ضخم يبلغ طوله نحو ثلاثمئة ذراع في عرض سبعة أذرع، وتنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى الشهية،



وإذا ما انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه، وفتحت أبواب القصر والإيوان على مصارعها، وهرع الناس من جميع الطبقات إلى السماط الخلفي، وتناولوا ما عليه من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه، وحينما تبزغ الشمس يخرج الخليفة في موكبه إلى الصلاة. وفي ذلك يقول المقريزي: وفي يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد، وبين يديه الجنائب والقباب والعسكر في زيّه من الأتراك، والديلم، والعزيزية، والإخشيدية، والكافورية، وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق المذهبة، وعلى الجنائب السروج المذهبة بالجوهر، والسروج بالعنبر، وبين يديه الفيلة، وعليها الرجالة بالسلاح. وإذا ما عاد الخليفة من الصلاة وجد سماطاً آخر، فيجلس وأمامه مائدة من فضة، يُقال لها: المدورة، وكانت توضع عليها أواني الذهب والفضة الزاخرة بألوان الطعام، وقبالتها سماط ضخم يتّسع لنحو خمسمئة مدعو، نُثرت عليه الأزهار والرياحين، وصُفّت على جانبيه الأطباق الحافلة بصنوف الشواء والطيور والحلوى، وكان يجلس إليه رجال الدولة العظماء.



أما عيد الأضحى، فيحتفل في أول منه بركوب الخليفة إلى الصلاة على النحو الذي اتّبع في عيد الفطر، غير أنه يمتاز بخروج الخليفة إلى المنحر ثلاث مرات متواليات في أيامه الثلاثة الأولى، واشتراكه في إجراءات النحر، وكان الخليفة إذا انقضى اليوم الثالث خلع على وزيره ثوبه الأحمر الذي كان يرتديه يوم العيد.

العيد في مكة قبل ١٢٥ عاماً

كشف المستشرق الهولندي كرستيان سنوك هور خرونيه (١٨٥٧- ١٩٣٥م)، الذي نجح في الدخول إلى مكة المكرمة عام ١٨٨٥م بوصفه مسلماً، وقضى فيها سبعة أشهر بعد أن تسمّى بالحاج عبدالغفار، كثيراً من مظاهر احتفاء أهالي مكة المكرمة قبل ١٢٥ عاماً بقدوم عيد الفطر المبارك، والاستعدادات المبذولة لاستقبال هذه المناسبة الدينية، وما يرتبط بها من عادات أهالي مكة وزوّارها وتقاليدهم. وفي كتابه الذي أصدره عن رحلته إلى الحجاز بعنوان: (مكة)، الذي أعادت دار الملك عبدالعزيز ترجمته وطباعته بمناسبة مرور ١٠٠ عام على توحيد المملكة العربية السعودية تحت عنوان: (صفحات من تاريخ مكة المكرمة)، واستعرضت صحيفة الشرق الأوسط[١٠] منه ما يخصّ مظاهر العيد، يذكر خرونيه أن المكّيين يستقبلون العيد بالحماسة نفسها التي يستقبلون بها شهر رمضان؛ إذ ينتظرون رؤية هلال شهر شوال، ويتجمع الناس لهذا الغرض في المسجد الحرام ليلة التاسع والعشرين، وكلّ منهم ينظر إلى السماء بهدف رؤية الهلال الذي في حال رؤيته يسري خبره في البيوت كالنار في الهشيم، موضحاً مشاهداته عندما رأى الناس وهم ينظفون السجاد، ويضعون اللمسات الأخيرة في تنظيف البيوت، مشيراً إلى أنه رأى الأهالي يقومون بتجديد ما تلف من النوافذ.

ويصف خرونيه أسواق مكة ليلة العيد بأنها مملوءة بالناس الذين يجوّلون هنا وهناك لشراء حاجياتهم التي تأخروا في تأمينها لآخر لحظة، موضحاً أن من مهام ربّ الأسرة شراء الملابس الجديدة لجميع أفراد عائلته، والحلوى والعطور لزواره، واستبدال حاجات المنزل الجديدة بأخرى قديمة. ويضيف: يذهب الناس ليلة العيد إلى الحلاق، وهناك تجد عدداً منهم جلوساً في المقاعد ينتظرون أدوارهم لحلاقة رؤوسهم، وتشذيب شواربهم ولحاهم أو إزالتها، وبعضهم على ظهره ثوب أو اثنان للحجامة.

وفيما يخصّ نشاط الأسر وربّات البيوت في المنازل ليلة العيد، يشير خرونيه إلى أن أعمال المطبخ تكون جاريةً على قدم وساق، كما يتم تزيين غرف الاستقبال، وإعداد غرفة واسعة لطعام الإفطار الذي يبدأ بعد صلاة العيد مباشرةً. ويصف حرص أهل مكة على التوجّه إلى الحرم قبل شروق الشمس؛ كي يتمكنوا من الحصول على أمكنة مناسبة لهم، ولا يتركون المسجد بعد صلاة الفجر في انتظار صلاة (المشهد)، مضيفاً أن المرء ليعجب كثيراً بمنظر الداخلين إلى المسجد وهم يرتدون ملابس العيد الزاهية الجميلة. ويصف الطبقة الوسطى بأن مظهرها مختلف؛ إذ تبدو ملابسهم الزاهية الجميلة التي ادّخروها لمثل هذه المناسبة.

أعياد الأمم الجاهلية قبل ظهور الإسلام ارتبطت بمناسبات دنيوية، وهو ما جعل من اللهو والطرب والمجون وغيرها أبرز مظاهر الاحتفاء بتلك الأعياد

وفيما يخصّ صلاة العيد يذكر خرونيه أنه يُنادى بعد نصف ساعة من الشروق لصلاة العيد، ويوضح أن بعض الناس لا يحرص على سماع الخطبة؛ إذ يظهر هرج شديد لا يساعد على سماعها، بينما يبادر المصلون في الصفوف الخلفية إلى الخروج أولاً، ثم يتوالى الناس في الخروج؛ حتى لا تبقى سوى أعداد قليلة.

ويذكر المستشرق الهولندي أن المرء يسمع في كل مكان عبارات التهنئة؛ مثل: جعلكم الله من العايدين، وكل عام وأنتم بخير، ومن المقبولين إن شاء الله، ويكون الجواب: إن شاء الله نحن وأنتم وجميع المسلمين.

ويستعرض هور خرونيه مظاهر أخرى من مظاهر العيد في مكة تتعلق بواقع الزيارات في ذلك اليوم، وما يقدم إلى الضيوف، وواقع نشاط الحركة في الشوارع والميادين، موضحاً أن مناسبة عيد الفطر تستمر في مكة إلى اليوم الثالث من العيد، ويكشف أن النساء يبدأن بالمعايدة في اليوم الرابع بعد أن يفرغن من خدمة ضيوف أزواجهن واحتفالهن بالعيد.

العيد في الأدب العربي

يحفل كثير من الكتب والمصنفات الأدبية والتاريخية، التي تزخر بها المكتبة العربية، بالتناولات المختلفة التي جسّدت حقيقة حضور العيد كحدث ومناسبة في عصور تاريخية مختلفة، وأبرزت مظاهره وواقع الاحتفاء به. والمتطلع إلى ما حفل به ديوان الشعر العربي يجد أن هناك تنوعاً للمسارات التي تعكس حقيقة معنى العيد عند حضوره، والتي لا تقف عند



العيد

العيد[1]: كل يوم فيه جمع، واشتقاقه من: عاد، يعود، كأنهم عادوا إليه. وقيل: اشتقاقه من العادة؛ لأنهم اعتادوه، والجمع: أعياد، ولو لم يلزم لقيل: أعواد؛ كريح وأرواح؛ لأنه من: عاد، يعود. وعيّد المسلمون: شهدوا عيدهم، وتصغير عيد: عُيَيْد، قال الأزهري: والعيد عند العرب: الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن، وكان في الأصل: العِوْد، فلما سكنت الواو، وانكسر ما قبلها، صارت ياءً، قال الشاعر:

والقلب يعتاده من حبّها عيد

وقال يزيد بن الحكم الثقفي[2] يمدح سليمان بن عبدالملك:

أمسى بأسماء هذا القلب معمودا   إذا أقـول صحـا يعتاده عيدا

كـأنني يوم أمـسي ما تكـلمني   ذو بغيةٍ يبتغي ما ليس موجودا

وقال تأبّط شراً:

يا عيدُ مالك من شوقٍ وإيراقِ   ومرِّ طيفٍ على الأهـوال طرّاقِ

وقال ابن الأعرابي: سُمِّي العيدُ عيداً لأنه يعود كلَّ سنة بفرحٍ مجدّد.

معنى واحد؛ إذ يرتبط معنى العيد عند بعض الناس بطابع الفرح والسرور، وعند بعضهم الآخر بطابع الحزن والزهد وفقاً لفلسفة الشاعر، وحال الأجواء التي تتقاسم نفسيته، والتجربة التي يعيشها، والظروف التي يمرّ بها، وغير ذلك.

فالشاعر أبو إسحاق الألبيري يرى أن المعنى الحقيقي للعيد ليس في لبس الجديد من الثياب، وإنما بالحصول على المغفرة؛ إذ تتحدد رؤيته العيد في روح زاهدة؛ إذ يقول:

مـا عـيـدك الـفـخـم إلا يـوم يـغـفـر لك
لا أن تجـرّ بـه مسـتـكـبراً حللك

كـم مـن جـديد ثـيـاب ديـنـه خـلـقٌ
تـكـاد تـلـعـنـه الأقـطـار حـيـث سـلـك

ومـن مـرقّـع أطـمـار وذي ورعٍ
بـكـت عـلـيـه الـسـمـا والأرضُ حـيـث هلك

أما الوزير المعتمد بن عباد، فلم يكن أمامه وهو في محبسه

(١) لسان العرب للإمام العلامة ابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ)، مادة (عيد). وانظر كذلك: تاج العروس من جوهر القاموس، تأليف محمد مرتضى الزبيدي.

(٢) نسب ابن منظور والزبيدي في معجميهما هذا البيت إلى يزيد بن الحكم الثقفي، بينما تنسب بعض المراجع الأخرى هذا البيت إلى عمر بن أبي ربيعة المخزومي على الشكل: أمسى بأسماء هذا القلب معمودا.

سوى أن يرثي حاله وحال بناته في يوم العيد بعد أن ضاع ملكه، وتفرّق عنه أشياعه؛ إذ يقول[11]:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا
فساءك العيد في أغمات مأسورا
ترى بناتك في الأطمار جائعةً
يغزلن للناس ما يملكن قطميرا

إلى أن يقول:

أفطرت في العيد لا عادت إساءته
فكان فطرك للأكباد تفطيرا

وقد اعتاد كثير من الشعراء، وفي أوقات مختلفة، على تهنئة الملوك والأمراء والخلفاء يوم العيد، إما حباً لهم وإما محاولةً للتقرب منهم، وتعكس ذلك على سبيل المثال لا الحصر قصيدة أبي الطيب المتنبي[12] التي هنّأ بها سيف الدولة الحمداني بعيد الفطر؛ إذ يقول في مطلع قصيدته:



الصوم والفطر والأعياد والعصرُ
منيرةٌ بك حتى الشمس والقمرُ
ترى الأهلّة وجهاً عمّ نائلُهُ
فيما يخصّ بها من دونك البشرُ

وينسب ياقوت الحموي في معجمه[13] إلى صالح بن مؤنس المصري قوله في مدح بعض آل الفرات:

قد مرّ عيدٌ وعيدُ
ما اخضرّ لي فيه عودُ
وكيف يخضرّ عودٌ
والماء منه بعيدُ
يا من له عدد المجـ
ـدكلها والعديد
آل الفرات تراهم
على الفرات يزيد
وأنت فضلك فيهم
عليك منه شهودُ

إلى أن قال:

ما الناس إلا شقيّ
في دهرنا وسعيدُ

وقد فرض العيد حضوره في ديوان الشعر العربي الحديث، ولاسيما القصائد المغناة، على شاكلة قصيدة أحمد رامي (يا بهجة العيد السعيد)، التي غنّتها كوكب الشرق أم كلثوم، والقصيدة التي غنّاها ناظم العراقي (أيّ شيء في العيد أهدي إليكِ يا ملاكي؟)، وغيرهما من القصائد الأخرى التي كان لها تأثير كبير ووقع في النفوس. وإلى جانب القصائد المغناة برزت أناشيد العيد التي جسّدت من جانبها حقيقة حضور العيد بدرجة كبيرة.

العيد وإشعال الثورات

أسهم عدد من القصائد الملتهبة ذات الطابع الثوري في جعل العيد مناسبةً للانطلاق نحو التغيير والتحرّر وتحريض الشعوب في اتجاه الخلاص وإشعال الثورات، يعكس ذلك - على سبيل المثال - قصيدة الشاعر الكبير عبدالله البرّدوني رحمه الله (ت ١٩٩٩م)، التي قالها في ذكرى انتصار الإمام أحمد على

الدلالات العظيمة ليوم عيد الأضحى ترتبط بتلك الأحداث تجسد حقيقة واحدية الرسالة السماوية، وحقيقة واحدية التشريع



فرحة للكبار والصغار

أول انتفاضة شعبية قبل قيام الثورة؛ إذ كان سفاح اليمن يقيم الرايات، ويحشد الناس ليسمعوا كيف يمدح الشعراء الجلاد، وشذّ شاعر عن هذه القاعدة؛ إذ خرج البرّدوني الضرير عن المألوف، وفي صوت لا أقوى من روعته وبساطته وإشراقه[١٤]:

عيد الجلوس أعِزّ بلادك مسمعاً
تسألك أين هناؤها هل يوجدُ؟
تمضي وتأتي والبلادُ وأهلها
في ناظريك كما عهدتَ وتعهدُ
يا عيد حدّث شعبك الظامي متى
يُروى وهل يُروى وأين الموردُ؟
فيما السكوت ونصف شعبك هاهنا
يشقى ونصفٌ في الشعوب مشرّدُ؟
يا عيد هذا الشعب ذلّ نبوغه
وطوى نبوغه السكونُ الأسودُ

ضاعت رجال الفكر فيه كأنها
حلمٌ يبعثره الدجى ويبدّدُ

وتستعرض الشاعرة الفلسطينية الراحلة فدوى طوقان في قصيدتها (لاجئة مع العيد)[١٥] بأسلوب شعري مكتظ بالألم واقع حالها الحزين، وواقع حال اللاجئات الفلسطينيات اللواتي يعشن في يوم العيد أجواء المعاناة والتشرد بعيداً من أجواء الفرحة الحقيقية للعيد. لكن الرسالة التي تودّ الشاعرة إيصالها لا تقف عند مخاطبة اللاجئة الفلسطينية، والوقوف على واقع معاناتها، بل تذهب متطلعةً إلى محاولة خلق ثقافة المقاومة الكفيلة بتغيير ذلك الواقع، وإنهاء الاحتلال، وعودة اللاجئة الفلسطينية، لتعود معها فرحة العيد:

أختاه! هذا العيد رفّ سناه في روح الوجود
وأشاع في قلب الحياة بشاشة الفجر السعيد
وأراك ما بين الخيام قبعت تمثالاً شقيّا
متهالكاً يطوي وراء جموده ألماً عتيّا

وتضيف متسائلةً:

أترى ذكرتِ مباهج الأعياد في (يافا) الجميلة؟
أهَفَتْ بقلبك ذكريات العيد أيام الطفولة؟
إذ أنتِ تنطلقين كالحسون في زهو غرير
والعقدة الحمراء قد رفّت على الرأس الصغير
والشعر منسدل على الكتفين محلول الجديلة

إلى أن تقول:

أختاه! هذا العيد عيد المترفين الهانئين
عيد الأُولى بقصورهم وبروحهم متنعّمين
عيد الأُولى لا العار حرّكهم ولا ذلّ المصير
فكأنما جثث هناك بلا حياة أو شعور
أختاه! لا تبكي؛ فهذا العيد عيد الميتين

وأستسمح القارئ الكريم في عدم الغوص في أعماق هذا الموضوع، وتناوله من جميع جوانبه؛ لأن مساحة هذا التناول المتواضع لا تسمح بمثل ذلك.

العيد اليوم

تعدّدت الأعياد في العصر الحديث، ولم تعُدْ تقتصر على

عيدي الفطر والأضحى فقط، بل ظهر عدد من الأعياد الدخيلة ذات التسميات المختلفة على حدّ سواء؛ فهناك عيد الأم، وعيد الشجرة، وعيد المعلم، وعيد الحب، الذي أفتى عدد من العلماء بتحريم الاحتفاء به، وفي مقدمتهم الشيخ محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – وعيد الميلاد، وغيرها.

كما أصبحت للدول أعياد وطنية يُحتفى بها؛ تجسيداً لتحقيق النصر، أو الاستقلال، أو طرد المستعمر، أو إعلان قيام تلك الدول، أو غير ذلك. ويرتبط بتلك الأعياد منح الإجازات الرسمية، وتنظيم الاحتفالات الكرنفالية، وتبادل التهاني والتبريكات على مستوى الرؤساء والأمراء والملوك. وإذا تمّ التركيز في هذا التناول في عيدي الفطر والأضحى المبارك يمكن للمرء أن يلحظ بسهولة أن الكتابة عن هذين العيدين، وإبراز المظاهر والعادات والتقاليد المرتبطة بهما، أصبحت ظاهرة ملحوظة فرضت نفسها بقوة إبّان الاحتفاء بحلول الأعياد، يطالعنا بها ليس فقط الصحف والمجلات الورقية، بل أيضاً الفضائيات ومواقع الإنترنت بمختلف توجّهاتها، بعد أن كانت التعبيرات عن فرحة العيد من عدمها تقتصر في وقت سابق على ما تجود به قريحة الشعراء من قصائد.

كما أصبح بوسع المرء اليوم، بفضل التطور الكبير الحاصل في ثورة المعلومات والاتصالات الذي يشهده العالم، أن يبادل أقرباءه وأحبابه التهاني والتبريكات، ويبعث بطاقات المعايدة إلى من يرغب، سواء في المجتمع الذي يعيش فيه أم في أيّ مجتمع آخر على ظهر المعمورة، من خلال المكالمات الهاتفية، ورسائل الـSMS التي وفّرتها تقنية أجهزة الاتصالات (المحمول)، أو عبر مواقع الإنترنت من خلال رسائل البريد الإلكتروني أو المحادثة المباشرة بالصوت والصورة؛ ليتمكن كلّ من غاب عن أحبابه وأقربائه أن يعيش فرحة العيد.



أبرز مظاهر العيد

تتنوّع العادات والتقاليد المرتبطة بعيدي الفطر والأضحى في المجتمع العربي تبعاً للثقافة السائدة، والعادات والتقاليد المتعارفة، والأهمية الكبيرة التي يحتلها المُحتَفى به (العيد) في أوساط الناس. فوقع فرحة عيد الفطر المبارك في أوساط المجتمع السعودي على سبيل المثال أكثر من وقع الفرحة بعيد الأضحى الذي يتزامن حضوره مع موسم الحج الذي يتطلب انشغالاً وجهداً مضاعفاً على المستويين الرسمي بدرجة أساسية، والشعبي لخدمة ضيوف الرحمن حجاج بيت الله الحرام، وإنجاح موسم الحج بشكل عام. بينما في المجتمع اليمني – على سبيل المثال أيضاً – تتجلّى الفرحة بعيد الأضحى أكثر من عيد الفطر؛ بسبب محدودية الإجازة التي يتمتّع بها من جانب، وإقبال أغلبية الناس، خصوصاً في الأرياف، على صوم الأيام الست من شوال في اليوم التالي للعيد، وتفاوت الناس في الشروع في الذبح يوم الفطر بخلاف عيد الأضحى المبارك.

وأياً تنوّعت العادات والتقاليد المرتبطة بالعيد، وتسنى لها أن تتباين على مستوى القطر الواحد، بعيداً من إغفال المعاني والدلالات العظيمة للعيد ومقاصدها السامية، إلا أن القاسم المشترك لمظاهر العيد في البلدان العربية يتمثّل إلى جانب لبس الجديد من الثياب في صلة الأرحام، والزيارات المتبادلة للأقارب والأهل والجيران، والخروج إلى الحدائق والمتنزهات العامة، وزيارة المرضى في المستشفيات، خصوصاً في المدن، وزيارة المدن الساحلية؛ إذ تشير الإحصائيات الرسمية في اليمن – على سبيل المثال – إلى أن مدينة عدن تستقبل ما يقارب المليون زائر من مختلف المحافظات لقضاء إجازة العيد.

وتهتم الأسرة العربية قبيل حلول العيد اهتماماً كبيراً بإعداد حلوى العيد وتجهيزها مبكراً، تلك الحلوى التي تحظى بتسميات عربية متعددة، إلى جانب شراء مختلف أنواع المكسرات، وتقديمها إلى المعيّدين والضيوف الزائرين خلال أيام العيد.

ومن أبرز عبارات المعايدة الشائعة والمتداولة في المجتمع العربي في يوم العيد: من العايدين، وعساكم من عوّاده، وكل عام وأنتم بخير، وأعاده الله علينا وعليكم باليمن والخير والبركات.

وعلى الرغم من انتشار ظاهرة إقدام الأطفال في أيام العيد على شراء الألعاب النارية والمفرقعات مع خطورتها إلا أنه لا يمكن تغييب فرحة العيد التي ترتسم على محيّا الأطفال أكثر من غيرهم، ولاسيما الكبار؛ لتشكل فضاءً رحباً ممتزجاً بألوان الفرح والابتهاج.

بأية حالٍ عدْتَ يا عيدُ؟

يحلّ علينا العيد اليوم وجراح الأمة العربية والإسلامية النازفة لا تخفى على أحد. يحلّ علينا العيد في ظلّ واقع الانقسام العربي من دون تحقيق حلم الوحدة العربية الكبرى، وفي ظلّ بروز التحديات الراهنة المحدقة بكل قطر عربي على حدة. يحلّ العيد ضيفاً عزيزاً علينا في ظلّ معاناة الشعب الفلسطيني، وصرخة القدس التي تستغيث، لكن لا حياة لمن تنادي.

يحلّ علينا العيد اليوم في ظلّ الفجوة الكبيرة القائمة التي تفصلنا عن اللحاق بركب العلم والتقدم الذي وصل إليه الغرب في مجال العلوم والتكنولوجيا والتقنيات وغزو الفضاء والاهتمام بالبحث العلمي الغائب في البلدان العربية.

يحلّ علينا العيد وذاكرتنا العربية اليوم تسترجع بيت المتنبي متسائلةً: «بأية حالٍ عُدْتَ يا عيدُ؟»، متطلعةً في الوقت نفسه بأن يحلّ علينا العيد اليوم وكلنا أمل بأن يعود العيد اليوم والأعياد المقبلة ليس بما مضى، وإنما بحال فيه أمر تجديد وتمكين ونصر للأمة العربية والإسلامية المسكونة حالياً بأوجاع المعاناة؛ لتعود إن شاء الله إلى ما كانت عليه.

عيد الغفران أقدس الأعياد وأهمها على الإطلاق عند اليهود. وبحسب التراث الحاخامي، فإن يوم الغفران هو اليوم الذي أنزل فيه موسى عليه السلام من سيناء للمرة الثانية ومعه لوح للشريعة

المراجع والهوامش

١. ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، المسمى بـ(التبيان في شرح الديوان)، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ج٢، ص٣٩، ١٩٣٦م.
٢. تفسير القرآن لابن كثير الدمشقي، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م، ص١٢٥١.
٣. تفسير ابن كثير، مصدر سابق، ص١١٩٤.
٤. رواه أبو داود (١١٣٤)، والنسائي (١٥٥٦)، وصحّحه الشيخ الألباني، رحمهم الله.
٥. تمّ الاطلاع على مراجع مختلفة لمعرفة أعياد اليهود والنصارى.
٦. فتح الباري لابن حجر العسقلاني، ج ٢، ص٤٤٦.
٧. تاريخ الخلفاء لجلال الدين السيوطي، تحقيق: سعيد محمود عقيل، دار الجبل، ط١، ٢٠٠٣م، ص١٦١، ١٩٧.
٨. خصّص المقريزي حيزاً في كتابه (السلوك لمعرفة دول الملوك) للحديث عن العيد في العصر الفاطمي يمكن الرجوع إليه.
٩. إلى جانب ما أورده المقريزي انظر كتاب: الدولة الفاطمية في مصر.. سياستها الداخلية ومظاهر الحضارة في عهدها، تأليف: د. محمد جمال الدين سرور، دار الفكر العربي، ١٩٩٥- ١٩٩٦م، ص١٦٣، ١٦٤.
١٠. صحيفة الشرق الأوسط، الاثنين، ٣ شوال سنة ١٤٢٥هـ/ ١٥ نوفمبر عام ٢٠٠٤م، العدد (٩٤٨٤)، صفحة محليات سعودية، استعراض: أحمد عزوز.
١١. ديوان المعتمد بن عباد، تحقيق: د. رضا الحبيب السويسي، دار التونسية للنشر، ١٩٧٥م، ص١٦٨، ١٦٩.
١٢. ديوان المتنبي، مصدر سابق، ص٩٧.
١٣. معجم الأدباء لياقوت الحموي، ج٧، ص١٧٢، ١٧٣.
١٤. ديوان عبدالله البردوني، الأعمال الشعرية الكاملة (١-١٢)، المجلد (١)، تقديم: د. عبدالعزيز المقالح، إصدارات الهيئة العامة للكتاب - اليمن، ط١، ٢٠٠٢م، ص٤٠. وانظر أيضاً: هلال ناجي، شعراء اليمن المعاصرون، ص٨٥.
١٥. فدوى طوقان، من ديوانها: وحدي مع الأيام.



سقط سهواً

عزت الطيري
نجع حمادي – مصر

هل يسقط سهواً
من نعي الأرض لَهُ
ويلملم سقطتَهُ
ويسافر لبلاد
لا تجهل وردتَّهُ
تذكره حياً
أو حياً
وتقيم سرادقَهُ
في مرج الفُلِّ
وفي دغل التين
وفي حقل نخيلَ الدهشاتِ
إذا ماتَ؟!

هل يسقط سهواً
ليعود نشيداً ممدوداً
تُنشدُهُ خمس صبيات
يرقصن على عزفٍ الريحِ
ويبدأن البوحَ الغزليَّ
لَهُ:
يا سيد أوجاع الرمَّانِ
ويا ثرثرة العطرِ
ويا وسوسة العصفورِ
إذا تاهَ وحطَّ على
شجرٍ مرسوم
فوق مناديل الجارات؟!

هل يسقط سهواً
ليعود فتياً
ممشوق الحلم
ومزدهر الوجناتِ
وممتشقاً قمراً
وسواحلَ
وحدائق هربتْ
من كتب التاريخ وجابتْ
في الحلم سهولاً
وتمادتْ
تفاحاً وصباحاً
وشموس صبابات؟!

لَمْ.. لَمْ
بل هبَّ كما هبَّ النرجس
من عشق مراياه الأولى
وكما هبَّ الفجر من النومِ
جميلاً
ونحيلَ الضوءِ
وملهوفَ الخطواتْ!!



ملف

علي الدرورة:

دمار البيئة والتراث البحريين واقع علينا مواجهته

حسين حسن حسين - يوسف محمد العتيق
تصوير: مسفر علي البيشي

علي الدرورة

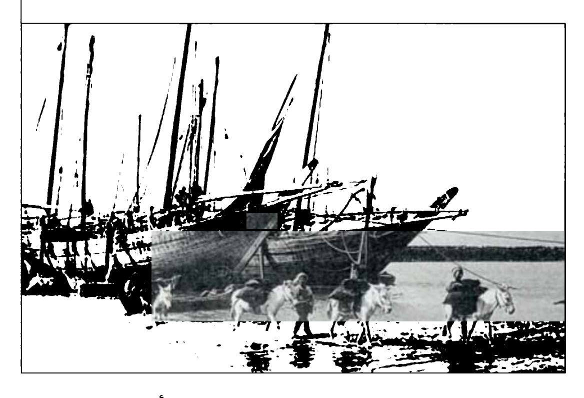
علي الدرورة باحث ومحاضر في التاريخ، وهو مختص ّ بحقبة النفوذ البرتغالي في الخليج والهند. أصدر عدداً من الكتب والبحوث، إلى جانب كثير من المحاضرات خلال ١١ عاماً، كما أن له إصداراً شهرياً في الثقافة العامة. حاولنا أن نتعرف من خلال الحوار معه التراث البحري الخليجي عامةً، وتراث منطقة القطيف خاصةً، مع توصيف للوضع الحالي. ومع أننا حاولنا أن يكون الحوار مركّزاً في الروبيان إلا أن متعة الحديث أخذتنا إلى شطآن شتى.





على باب الله

كثير من المواطنين يعملون في بيع السمك؛ لأن مردوده الاقتصادي جيد، ومن يمارس الصيد منهم يفعل ذلك من باب الهواية لا أكثر



صورة أرشيفية لمركب قديم

متى كانت بداية اهتمامك بالتراث وتوثيقه؟

أكتب في التراث وقضاياه منذ ٣٠ عاماً، وجاء تركيزي في حقبة النفوذ البرتغالي منذ ١١ عاماً فقط، وطبعاً أصدرت مجموعة كبيرة من الكتب في التراث الشعبي، بعضها من خلال المؤسسات الثقافية، وبعضها أصدرته شخصياً، ومازالت الكتب متوالية.

ما أبرز العناوين؟

على سبيل المثال: صدر لي عن مركز التراث الشعبي لدول مجلس التعاون الخليجي في الدوحة كتاب (الأمثال الشعبية البحرية)، إلى جانب عدد من البحوث. وصدرت لي مجموعة من الكتب عن مركز زايد للتراث والتاريخ، منها خمسة كتب في التراث البحري، وهي: جوانب من تاريخ اللؤلؤ في الخليج، والكناية البحرية في الإمارات والخليج، وتحت ظلال الشراع، والأهازيج الشعبية، وجوانب من التراث البحري في دولة الإمارات.

ماذا عن ارتباط الإنسان الخليجي بالبحر في الوقت الحالي؟

في الماضي كان الاقتصاد البحري مزدهراً، وكان المواطن الخليجي هو الذي يعمل في البحر، بينما الآن العمالة الوافدة هي التي تعمل. ومن جانب آخر، كان لربّان السفينة سلطة اجتماعية، أما الآن فدوره مهمّش، ولا يكاد يُذكر أيضاً، بل قد يكون غير معروف في مجتمعه. وكان العمل في البحر هو عماد الاقتصاد، والآن توافرت الأعمال في المصانع والشركات، فانحسر المردود الاقتصادي للعمل في البحر، وإن كان الإنسان لا يزال مرتبطاً بالبحر، بوصفه جزءاً من بيئته؛ فالإنسان ابن بيئته، فما دام الخليجي يعيش

على ضفاف الخليج فإنه سيظلّ مرتبطاً به. وعموماً، المردود المالي للنشاط البحري أصبح ضعيفاً في وقتنا الحالي؛ بسبب تدمير البيئة البحرية، وقلة الصيد، والتكاليف العالية. أما في الماضي، فكانت الأمور الاقتصادية ممتازة جداً إلى حدّ الرفاهية، بينما تراجع دور العمل البحري في الاقتصاد.

ما مدى مشاركة المواطنين في مراحل العمل البحري من صيد وبيع وغيرهما؟

وَكَلَ كثير من الربابنة عملية الصيد إلى العمالة الوافدة، وهو شيء يؤسفنا جداً؛ فصاحب المركب، أو ربّانه، أو من يُصطلح عليه (اللنج)، أو الطراد، يجلس في منزله لا أكثر. لكن هناك مجموعة كبيرة من المواطنين يعملون في بيع السمك؛ لأن مردوده الاقتصادي جيد، ومن يمارس الصيد من المواطنين فإنه يفعل ذلك من باب الهواية لا أكثر.

أعطنا فكرة عن الروبيان وصيده وعلاقة إنسان المنطقة به؟

كان الروبيان في الماضي متوافراً بشكل كبير حول جزيرة تاروت، وكان يُوجد ما لا يقلّ عن ١٨ موقعاً لصيد الروبيان. أما الآن، فقد انحسرت حتى بلغ عددها ستة مواقع.

ما السبب؟

السبب هو تدمير البيئة، الآن السواحل بدأت تُدمَّر بسبب الدفن؛ فالأمكنة التي يعيش فيها الروبيان بين أشجار القرم

كنت آخذ المركب الصغير (الزورق)، وأذهب به إلى اليابسة لأملأ قرب الماء، وأعود بها إلى المركب

تلفت بنسبة ٦٠٪؛ لذلك تراجعت المناطق التي يُصطاد فيها.

ما أنواع الروبيان؟

توجد ثلاثة أنواع أو أربعة من الروبيان، وهي تعيش في المنطقة، وتتوافر طوال العام، خصوصاً في فصل الشتاء. وما هو موجود الآن في فصل الصيف صغير بعض الشيء، وبسبب الصيد الجائر لا يُعطى الفرصة للنمو، مثلاً: في الماضي كان حجم الروبيان كبيراً جداً، وهو ما يُصطلح على تعريفه بالـ(جامبو)، وهو تقريباً بحجم ١٠٠ جرام، وما نجده الآن يراوح معدل حجمه بين ١٦ و٢٢ جراماً.

كيف يتم التفريق بين هذه الأنواع؟

الاختلاف يكون في اللون والطعم، أما الشكل فلا اختلاف فيه.

ماذا عن البعد الاقتصادي؟

من الناحية الاقتصادية، الآن الكيلو بنحو ٢٠ ريالاً فأكثر، بينما في سنة ١٣٦٢هـ؛ أي: قبل خمسين سنة، كان سعر الكيلو ١٢ قرشاً، وسبب ذلك الصيد الجائر، وتدمير البيئة؛ فكلما دُمِّرت البيئة دُمِّر الصيد وارتفع السعر. وتندهش إذا عرفت أن الناس كانت تزهد في صيد الروبيان بسبب كثرته، بل كانوا يعجزون عن جمع ما اصطادوه، وكانوا في الماضي يجمعون الروبيان ويسلقونه وينشرونه في الشمس حتى يجفّ بسبب كثرته. والآن لا يوجد من يسلقه ويجففه في الشمس؛ فالناس تشتري كمية محدودة جداً، على عكس ما كان في الماضي، وهو شيء يُؤسف له؛ فقد كان سعره ١٢ قرشاً، ثم وصل إلى ٣ ريالات، ثم إلى ٧ ريالات، ثم وصل إلى ١٠ ريالات، حتى وصل السعر هذا العام إلى ٢٠ و٢٥ ريالاً، وهو أقلّ حجماً؛ لأنه لا يُعطى الفرصة للنمو، والسعر سيتزايد كلما مضى الزمن.

هل كانت هنا طقوس معينة في عملية الصيد؟

نعم، ويمكن تسميتها ممارسات، وكان الصيد يتم في المصايد البحرية المعروفة بالحضور؛ فحضرة واحدة كانت تكفي مدينةً كاملةً.



صناعة المراكب مهنة انقرضت

ماذا تعني الحضرة؟

الحضرة هي مصايد الأسماك الموجودة بالقرب من الساحل، وهي بيوت من جريد النخيل عُملت على شكل أفخاخ لاصطياد الأسماك والروبيان الذي يصل إلى شاطئ البحر في أثناء الجزر؛ فهو يصادف في طريقه هذه الأفخاخ التي نسمّيها الحضور، فيُحاصر في الداخل، ولا يستطيع العودة إلى الأعماق مرةً أخرى. وعندما يأتي البحار يكون ارتفاع الماء نحو ١٠ سنتيمترات، بدلاً من ٣ أمتار، فيسهل عليه جمع الروبيان والأسماك الأخرى بكل سهولة. وكانت هذه الحضور بالمئات، وكان الناس بالفعل يعجزون عن حمل هذه الخيرات. أما الآن، فلا تكاد ترى الحضور؛ فهذه المصايد غير متوافرة، والشباك أيضاً نوعيتها جائرة؛ فهي لا تبقي حتى على اليرقات، وهو ما يمثّل تدميراً للبيئة في داخل أعماق البحر.

هل للشباك مواصفات محددة حتى لا تكون مدمِّرة للبيئة؟

الشباك ذات مربعات نصطلح على تسميتها في الملاحة البحرية بالعيون، ويُفترض أن تكون ذات حجم معين؛ لتعطي الفرصة للروبيان الصغير وغيره من أنواع السمك لينطلق في المياه وينمو، بينما الآن كثير من الشباك التي تستخدمها المراكب أو الطرادات أو القوارب لا تسمح للأسماك الصغيرة أو الكائنات الصغيرة بالانطلاق في البحر ثانيةً حتى تعيش؛ بسبب قلة الثقافة البيئية. ونحن، من خلال مجلتكم الموقرة، ندعو إلى ضرورة الاهتمام بالثقافة البيئية، وتلمّس سبل إشاعتها، بما يحقق الفائدة للجميع.

هل هناك أهازيج ترتبط بصيد الروبيان في التراث الشعبي؟

لا توجد أهازيج خاصة بصيد الروبيان، إنما البحارة في الماضي -حسبما رأيتهم شخصياً عندما كنت أعمل في صيد الروبيان في صغري- كانوا عندما يسحبون الشباك من أعماق البحر يردّدون

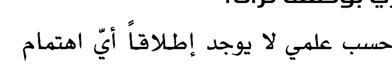
> هناك نحو ١٥٠ نوعاً من الأسماك، وكلّ الأسماك تأخذ شكلاً وميزةً، وتعيش في بيئة محددة، ولا يمكن لنوع أن ينتقل من بيئته إلى بيئة أخرى

أهازيج بسيطة تُسمَّى الحدوة البحرية، وهي مثل الحداء في البادية لتسرع الإبل في السير، وهذا الحداء البحري حتى يُسرع في جلب الحبل من أعماق البحر، وقد ذكرت جوانب من هذا الحداء في كتابي (جوانب من التراث البحري في دولة الإمارات العربية المتحدة)، الصادر عن مركز زايد للتراث والتاريخ في أبو ظبي. فالأهازيج كانت شائعةً عند البحارة قديماً في أثناء الغوص بحثاً عن اللؤلؤ، ولم تكن شائعةً عند صيد السمك والروبيان، أما الآن فنحن نعيش في زمن احتضار الأهازيج؛ لأن من يعملون في البحر هم الوافدون، وهم لا يعرفون هذه الأشياء، والذين يعرفون لا يدخلون البحر، ومن ثَمّ فقد نسوها.

هل يعني ذلك أنه لا يوجد أدنى اهتمام من الشباب بالبحر وأنشطته؟

هناك مجموعة من الشباب لها بعض الاهتمام، لكنهم يعملون في القوارب أو الزوارق المملوكة لهم شخصياً، وهذه القوارب لا توجد فيها عمالة؛ فهم يعملون بأنفسهم، أو مع بعض إخوانهم أو أقاربهم.

هل هناك جهود رسمية للمحافظة على النشاط البحري بوصفه تراثاً؟



حسب علمي لا يوجد إطلاقاً أيّ اهتمام للمحافظة على هذا التراث.

هل يعني ذلك أن هذا التراث قد يندثر؟

أقول بين قوسين: «قد يندثر». ومن ناحيتي، بصفتي مؤرخاً أو باحثاً في التراث الشعبي، كتبتُ على مدى ٣٠ سنة مئات المقالات عن الفلكلور البحري، وكنت أتمنى أن يُصادف ذلك اهتماماً؛ حتى نكون على بيّنة من تاريخنا العريق، ومن التراث البحري للمنطقة، لكن من المؤسف عدم وجود ممارسات معاصرة تعكس الاهتمام بالحفاظ على تراث الأجداد.

إذا عدنا إلى الروبيان، هل يمكن القول: إن القطيف تتميز بطرائق طهو خاصة بها؟

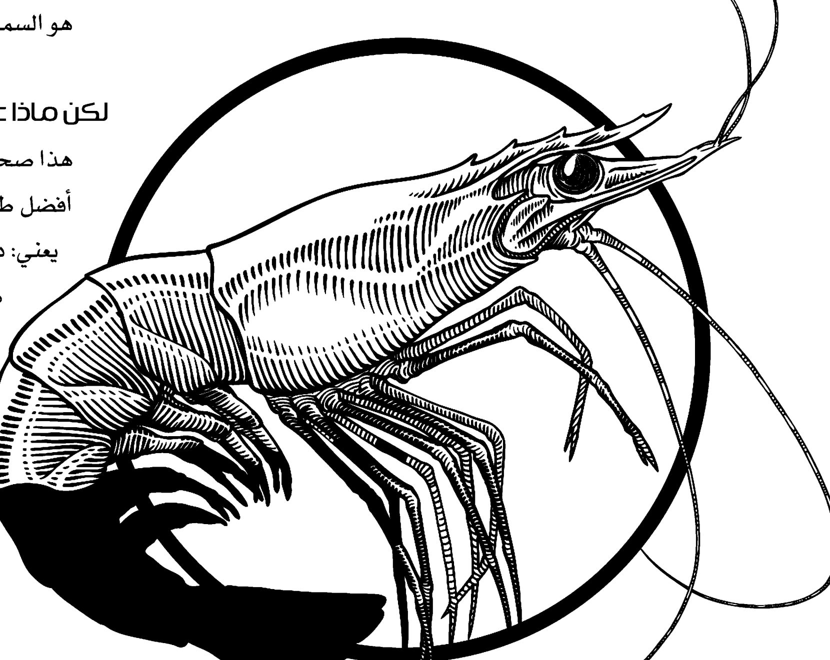
من ناحية الطهو نعم، ويمكن أن أقول: إن هناك أكثر من ١٠ طرائق في المنطقة لطهو الروبيان، وهي مستمدة من التراث، وليست وليدة العصر الحاضر؛ فمن يعيشون على السواحل يمارسون تراثهم المستمد من جذورهم، وهم في طهوهم الروبيان يعتمدون على ما هو متوارث، بعكس المناطق الأخرى التي قد يعتمد أهلها على كتب الطبخ ووصفاتها. ولا شك أن اللحوم البيضاء مفيدة جداً؛ فقد قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ (فاطر: ١٢)؛ فالله يخرج لهم من المياه المالحة والمياه العذبة اللحم الطريّ الذي هو السمك، ومنه الروبيان، وهو مفيد جداً كما أثبت الطب.

لكن ماذا عن ارتفاع نسبة الكولسترول في الروبيان؟

هذا صحيح، لكن أفضل طريقة لتفادي ذلك هو الشواء؛ فهو أفضل طريقة لتحضير الروبيان، خصوصاً إذا كان جامبو؛ يعني: ذا حجم كبير؛ ٥٠ أو ٦٠ جراماً. ولا تنس أن التجفيف هو أيضاً مفيد، وتشتهر بذلك السواحل الإيرانية، أما دول الخليج فقد تخلّت عن التجفيف، ما عدا سلطنة عمان.

لماذا في رأيك؟

ربما لعدة أسباب: منها أنه يحتاج إلى ملح



كثير، ومساحة كبيرة، وتهوية دائمة، وأنا شخصياً تجوّلت في معظم الموانئ في الخليج، واكتشفت ذلك بنفسي، وكتبتُ عن ذلك، مثلاً: في منطقة مربح، وهي منطقة ساحلية بين الإمارات وعمان، تجفف الأسماك بكميات كبيرة جداً، وقد كتبتُ عن ذلك قبل عشر سنوات، ووثّقته في كتابي (جوانب من التراث البحري في دولة الإمارات). وأشير هنا إلى أن أشياء كثيرة غير الأسماك كانت تجفّف في مناطقنا، لكن الناس تخلوا عن ذلك في الوقت الحالي.



العمالة الآسيوية بديلة من المواطنين في الصيد

ربما لاختلاف الظروف الاقتصادية؟

ربما اختلف أسلوب الناس الغذائي، وأذكر أن الليمون كان فيه فائض يجفّف، لكن اليوم الليمون المجفّف يستورد من عمان أو من السواحل الإيرانية، بينما الليمون لا يزال يُزرع، وهو يكفي المنطقة في مواسمه فقط؛ يعني: لا يوجد فائض. وكذلك الروبيان لا يوجد فائض حتى يجفّف كما في الماضي.



ماذا عن سوق السمك بالقطيف؟

سوق القطيف يزوّد مناطق المملكة بالأسماك؛ فهو من أكبر الأسواق الخاصة بالأسماك في الخليج. فإلى جانب الأسماك التي تأتي من السواحل السعودية هناك أسماك تأتي من البحرين وعمان، ومن ثَمّ يكون هناك فائض من الأسماك والروبيان في المنطقة. أما بالنسبة إلى الشركات التي تعمل خارج القطيف والفنادق فإنها تحصل على ما تريده من خلال طلبات خاصة، فتنطلق ٧٠-٨٠ شاحنة من القطيف إلى المناطق الأخرى.

> كانت الناس تزهد في صيد الروبيان بسبب كثرته، بل كانوا يعجزون عن جمع ما اصطادوه، وكانوا يجمعونه ويجففونه في الشمس

هل اختلفت أدوات صيد الروبيان عن الماضي؟

الأدوات هي الأدوات القديمة ذاتها، لكن اختفت إحدى طرائق الصيد، وهي الحضور. والأداة الرئيسة تشبه السلة الضخمة، وتسمى (كوفية)، ولها بابان من اليمين واليسار، وهذا الباب مُوصل بحبل طويل جداً، ربما ٦٠ متراً، مُوصل بالسفينة على سطح الماء، وهذان البابان هما اللذان يفتحان الفوهة للشباك، وهي الكوفية؛ يعني: الكوفية إذا كانت

دائرية ستعوم ما لم يكن لها بابان. والأسماك في القاع، وهي تدخل الشبكة عند فتح البابين، وعندها يُشدّ الحبل لقفل البابين؛ حتى تصل الشباك إلى السطح.

هل هناك طريقة أخرى للصيد؟

نعم، هناك طريقة أخرى، لكنها تستخدم على نطاق ضيق جداً، وهي تستخدم عادةً للسواحل؛ يعني: في المياه الضحلة، خصوصاً في الليل؛ إذ تكون هذه الشبكة على مسافة ٢٠ متراً، وفي الطرف عصوان بطول قامة الرجل، وكلّ عصا يمسك بها أحد البحارة، ويمشيان بها، وعندما يصلان إلى الساحل يلتقيان. وهذه الطريقة موجودة في كلّ سواحل آسيا وإفريقية، وتسمى الجاروف.

إذا ذهبت لصيد الروبيـان في مكان وجوده الكثيف، هل تخرج أشياء أخرى في الشباك؟

نعم، يطلع لك كل شيء؛ لأن الأسماك تأتي لتتغذى على الروبيـان وغيـره، لاسيما الصغير الـذي في طور النمو، ومن ثَمّ يخرج في الشبكة كلّ ما هبّ ودبّ. وأنا أذكر مثلاً في إحدى المرات كنا بالقرب من ميناء الدمام، فرفعنا بالشبكة شيئاً ثقيلاً جداً جداً، وكنا فرحين بهذا الصيد الثمين، فاكتشفنا أنه ليس إلا صخرة كبيرة، ومن الدهشة تركنا الحبل، فرجعت إلى القاع، وأعدنا المحاولة حتى استطعنا إخـراج الشبكة بعد نحو ساعتين، واستبدلنا الشبكة بسبب التلف، وذهبنا إلى الشاطئ لكي نرمي الصخرة؛ حتى لا يتكرر صيدها مرة أخرى. وفي مرة ثانية وجدنا في الشبكة سمك قرش من نوع أبو سيف، الذي في سيفه مسامير على الطرف، وقد أتلف الشبكة، وبعد معاناة شديدة جداً استبدلنا الشبكة، وقُمنا بتقطيع سمك القرش، وكان طوله أربعة أمتار تقريباً؛ لأننا إذا رميناه سوف نتورّط فيه مرةً أخرى، أو يتورّط فيه غيرنا.

ألا يؤكل لحمه؟

يُؤكل، لكننا جئنا خصيصًى للروبيان، ولا نريد غيره.

كم كان عمرك في ذلك الوقت؟

كنت في سنّ ١٧ سنة.

كم كان عمرك عندما نزلت البحر أول مرة؟

قال ضاحكاً: أنا عندما ولدتني أمي (رُحت أجري للبحر).

أقصد علاقتك بالصيد؟

أذكر كان عمري ١٤ سنة، فكنت أذهب مع الوالد -رحمه الله- للصيد، كما عملتُ في المراكب في العطلة الصيفية عندما كنتُ في الثانوية، وكان عمري ١٧ عاماً.

هل كان العائد مجزياً؟

نعم، كلّ يوم كنتُ أدخل ١٠٠ ريال، وهذا مصروف جيد، خصوصاً أن ذلك كان في السبعينيات الميلادية؛ يعني: بركة.

هل كان للعمل الجماعي في الصيد تأثيره في واقع الحياة؟

كان هناك تكافل اجتماعي، وكان البحر له قيمته، وكان له نكهته الخاصة. عندما تعمل مع جيرانك، أو أقربائك، أو معارفك، أو أبناء بلدك، وتذهب إلى الصيد كنت تحسّ بالمتعة. الآن المراكب مَن الذي يدخل فيها، الآن لا يدخل فيها المواطن، يدخل فيها الوافدون من جنسيات مختلفة.

هناك منهم من لم يعرف البحر أصلاً؟

جداً، لكنه هو ملزم القيام بالوظيفة المكلّف بها.

البعد الاجتماعي مفتقد هنا؟

العمل الاجتماعي عامةً أصبح ضعيفاً؛ لقلة التواصل بين الناس.

ما الذي تفتقده من ذلك الزمان؟

البساطة بلا شك. كـان زمنـاً جميلاً جـداً جـداً؛ يعني: تصور أنا كنت أذهب إلى زور أو دارين مشياً على الأقدام حتى أركب المركب، وقد يكون ذلك ليلاً، وأنا ابن السابعة

عشرة، وكنت آخذ المركب الصغير (الزورق)، وأذهب به إلى اليابسة لأملأ قرب الماء، وأعود بها إلى المركب، وأعيد الزورق إلى اليابسة أو في المياه الضحلة، وأرجع إلى المركب سباحةً. هذه المظاهر اختفت تماماً. أما أبناء الجيل الحالي، فهم لا يعرفون أسماء المراكب، ولا أجزاءها.

ما أسماء مراكبكم؟

كانت عندنا أنواع؛ فهناك سفن كانت مخصّصة للنقل والسفر، ومنها البغلة، والبوم، والسفار. وكانت هناك سفن للغوص لصيد اللؤلؤ، ومنها: الجالبوت، والبوم، والسنبوك، والبقارة، والبتيل. وكانت هناك سفن لصيد الأسماك، وكان أهمها: الشوعي، والعبرة، والماشوا، والهوري. وفي الأغلب تختلف هذه السفن بعضها عن بعض في الحجم والتصميم والارتفاع والحمولة والسرعة.



السنبوك هل هو المركب البسيط؟

لا، السنبوك كبير، ويُعرف بالسنبوك العربي، وكان يحمل من ٣٠ إلى ٤٠ شخصاً، وكان إلى جانبه: العبرة، والشوعي، والجالبوت، والبلوم، والقلص، والهوري. هذه كلها أسماء للمراكب التي تعمل في الصيد. أما التي كانت تعمل في الأسفار؛ أي: بين الموانئ من هنا إلى زنجبار، والهند، وبندر عباس، والبصرة، وغيرها من البنادر في الخليج أو خارجه، فكانت تسمى: أبواماً، وبغلات، ورجات، وهي الآن غير موجودة؛ فقد تجد مثلاً الأبوام والكوتية في بعض الموانئ على السواحل الإيرانية والباكستانية والهندية والإماراتية. والكوتية طبعاً من المراكب الهندية، لكنها تعمل في الخليج. البوم والكوتية موجودان، وهما من الأنواع الضخمة الموجودة في التجارة.

قوارب الصيد التي ذكرتها هل هي موجودة حالياً؟

نعم موجودة، لكن بنسبة قليلة جداً.

هل هناك تطوير أو تغيير في الشكل؟

الشكل هو الشكل، ولا يمكن المساس به؛ لأنه إرث.

ماذا عن صناعة المراكب؟

الصناعة اختفت تماماً يا سيدي.

هل تجلبون المراكب جاهزةً؟

نعم، نجلبها جاهزةً. قبل ٢٢ سنة كانت الصناعة لا تزال قائمة؛

يعني: أذكر التقطت كثيراً من الصور في بعض البنادر والسواحل للصناعة التي كانت موجودة، وكان هناك أشخاص معروفون. لكن الآن مع تطور الزمن اختفى كثير من المهن التقليدية.

ما المراحل التي تمرّ بها عملية الصيد، بدءاً من التجهيز؟

أولاً: قبل دخول البحر يجب أن تكون السفينة مؤمّنةً من ناحية السلامة، ومن ناحية التمويل؛ أي: الغذاء اللازم، وكذلك الثلج، ويكون التحضير عادةً من العصر.

هل يتم توزيع الأدوار؟

الجميع مسؤولون؛ فالأدوار تتوزّع، لكن ذلك لا يعني ألا نتعاون معاً؛ فإذا كنت مسؤولاً عن تجهيز الماء فذلك لا يعني ألا يساعدني الآخرون؛ فالعمل جماعي في المقام الأول.

ما الخطوة التالية؟

الذهاب إلى منطقة الصيد.

هل يكون هناك اتفاق مُسبق على مكان محدد؟

نعم، تحدد المنطقة التي نرى أن فيها صيداً وافراً، فنذهب إليها.

من الذي يحدد المكان؟

الربّان هو الذي يحدد، ونحن نسمّيه محلياً النوخذة، وهو صاحب المركب، وهو لديه خبرة بأمكنة الصيد، وذكرتُ أنه

القطيف المنطقة المفضلة للروبيان؛ لأنها طينية، وبها أشجار القرم أو المنجروف، التي تحمي اليرقات حتى تتغذى وتنمو

كان هناك سابقاً ١٨ موقعاً لصيد الروبيان؛ فعندما يبحر في ليلة ما في هذه المنطقة، وكان الصيد قليلاً فيها، لا يمكن أن يعود إليها في اليوم التالي؛ إذ لا بد أن يذهب إلى منطقة أخرى، وإذا وجد فيها الخير وافراً يأتي إليها في اليوم التالي، وهكذا.

الروبيان يُصطاد في الأمكنة الضحلة أم العميقة؟

لا، هو موجود في جميع الأمكنة العميقة والضحلة، بشرط أن تكون طينية.

لماذا تمتاز منطقة القطيف بتوافر الروبيان فيها أكثر من غيرها؟

لأن المنطقة المحيطة بها كلها طينية؛ يعني أعطيك مثالاً: نحن درسنا الساحل من الخفجي، وهي حدودنا مع الكويت، إلى الغويفات، وهي حدودنا مع الإمارات، ولم نجد أشجار القرم، لماذا هي موجودة في خليج تاروت فقط؟! لأن التربة طينية، ونبات المنقروف أو القرم لا ينبت إلا في هذه البيئة؛ يعني مثلاً: لو أخذنا من الشمال الخفجي ورأس مشعاب والسفانية والتناجيب، وهذه أمكنة أنا تجوّلت فيها، فهي على الرغم من أنها خلجان لا يوجد فيها شجر قرم. وكذلك نزلنا أبو حدرية ورأس (أبو علي) والجبيل ورأس تنورة، لماذا في خليج تاروت من رأس تنورة إلى الدمام فقط؟!. ننطلق إلى الجنوب، نذهب مثلاً إلى شاطئ نصف القمر والعقير، حتى نصل إلى سلوى، لا يوجد قرم في كلّ هذه المنطقة، هذه ليس بيئة لتلك الأشجار، وهي يوجد بها الروبيان، لكن ليس بالوفرة التي عليه في القطيف؛ فأشجار القرم تحمي اليرقات، ومع تدمير البيئة، والردم الجائر، ونقصان هذه الأشجار، قلّ الروبيان في القطيف.

كم أخذ الردم الجائر من هذه البيئة؟

٦٠٪؛ لذلك الصيد قليل الآن.

هل هذا هو ما أدى إلى رفع سعر الروبيان؟

أدى إلى رفع سعره؛ بسبب قلة الصيد.

على أي أساس ٦٠٪؟

إذا دخلت جوجل، ولاحظت المساحة المدفونة من عام ١٩٥٢م حتى عام ٢٠١٠م تجد أن البيئة التي دُمِّرت لا تقلّ عن ٦٠٪، وما زلنا نطالب بإيقاف الردم؛ لأنك إذا أتلفت العش فلن تجد الطائر. أعطيك مثالاً آخر: لدينا صيد جائر لطائر البلبل؛ لذلك الآن من النادر أن ترى بلبلاً في الشارع.

وسابقاً؟

سابقاً كنت ترى ١٠٠ بلبل على الأقل يومياً.

هل كانوا يزعجونكم في البيت؟

جداً. أنت تطلع تسمع صوت بلبل، يأتيك صوته من فوق الشجرة، أو من فوق النخلة. الآن يمكن أن يمرّ شهران تقول: يا سبحان الله، هذا الطائر من وين طالع؟!. هذا تدمير للبيئة، لماذا؟ لأن كلّ مزرعة فيها شبك ثلاثي العيون يصطاد الطيور، لاسيما البلبل، وهو الآن بسعر غالٍ جداً. لدينا البلبل العربي، والبلبل الهندي، والآن لا توجد العنادل، انتهت من القطيف؛ بسبب الصيد. تصوّر كم مزرعة في القطيف تنصب هذه الشباك. لنفرض أن في القطيف يتم صيد ١٠٠ طائر على الأقلّ، اضرب هذا الرقم في ٣٦٥ يوماً. أنا آخر مرة رأيتُ فيها بلبلاً كانت منذ ثلاثة أشهر.

هل عندكم محاولات للتنبيه على خطورة هذه المشكلة؟

الثقافة البيئية معدومة تماماً.

أنتم بوصفكم باحثين ما دوركم؟

نحن الآن نجاهد في هذه الناحية؛ فنحن نطلب من أصحاب المزارع أن يطووا هذه الشباك، ونطالب الجهات الرسمية بالعمل لوقف تدمير البيئة، ومنع الردم بأيّ حجة؛ فبعد ٢٠ سنة إذا أتلفنا جميع القرم سنستورد هذا الروبيان، ولن يقف الأمر عند سعر الكيلو بـ٥٠ ريالاً. وما زلت أذكر في الماضي أن الروبيان كان كالتلال، وأنت كنت تمشي وتأخذ منه من دون أن يقول لك أحد شيئاً، على الرغم من وجود حارس خوفاً من القطط، وكانت النوعية ممتازة: لون أحمر، وجامبو. في الماضي كانت عندنا طريقة التمليح، كنا نضعه على الأرض كما في عمان مثلاً، كانوا يمدون الحبال بين النخل لتجفيف الأسماك الصغيرة، لاسيما الصافي، وهو نوع ممتاز جداً ومحبّب، ويجفّ بسرعة في فصل الصيف، وكنت تجد في الخيط ١٠٠ سمكة. الآن لم يعُد هذا الشيء موجوداً، ومن يرغب في هذا النوع من الأسماك المجففة عليه أن يذهب إلى البحرين، وحسبما علمت فإن سعر الكيلو ٣ دنانير؛ يعني: نحو ٣٠ ريالاً، بينما كان في الماضي هذا النوع من السمك يُهدى إلى الناس من كثرته؛ فما يؤسف له أن مثل هذه المظاهر أصبحت شيئاً من الماضي.

ماذا عن مرحلة إنزال الشباك؟

ننزل الشبكة خلف المركب، من هنا باب، ومن هنا باب، وهناك حبال ممدودة.

كم واحد يمكن أن يشارك في إنزال الشبكة؟

على الأقل من ستة إلى ثمانية؛ بمعنى: يكون في كل باب



من ثلاثة إلى أربعة، وبعد الإنزال تكون الشبكة مربوطةً في المركب، ومن ثَمّ تنطلق في شكل دائري.

متى يعرف الربان أن الشبكة قد امتلأت؟

يعرف عندما تبدأ المركب تثقل في السير.

من الذي يقرِّر سحب الشبكة؟

- الربّان هو من يقرّر، وذلك بعد نصف ساعة أو ٤٥ دقيقة، فيخفّف المكينة وحركة المركب، ويبدأ يسحب، وترفع الشبكة بواسطة الخطاف (الهوك، أو الكلاب)، وتسحب إلى داخل المركب، وتفرغ. وبعد ذلك يتم فرز السمك للتخلص من الأنواع السامة، كما يتم ربط الشبكة من جديد، وفحصها جيداً، قبل إنزالها مرةً أخرى، للتأكد من خلوها من أيّ عيب، ويتم تكرار ذلك من ٦ إلى ٧ مرات، وأحياناً عشر مرات، وعند صلاة الفجر يعود الصيادون من رحلتهم، وعندما تشرق الشمس يكونون في السوق.

هل النوخذة عنده محلّ للبيع؟

لا، وإنما يسلمه إلى الدلال، والدلال يبيعه إلى الجزافين، وهم الذين يبيعون بالتجزئة. ولفظة (الجزافين) من المجازفة؛ فهو يجازف ويشتري بالجملة ليبيع بالتجزئة، وأحياناً يكون البيع للزبائن مباشرةً، خصوصاً إذا كان يريد شراء ٥ أو ٦ منون.

ماذا يعني المن؟

المن يوازي تقريباً ١٦ كيلوجراماً، ومن ٥٠ سنة كان المن يصل سعره إلى ١٦ أو ١٧ ريالاً، ثم زاد إلى ٣٠ ريالاً، والآن قد يصل إلى ١٠٠٠ ريال إذا كانت نوعية الروبيان جيدة، وإذا كانت نوعية أقلّ جودة أو صغيرة الحجم يراوح السعر بين ٣٠٠ و٥٠٠ ريال حسب مستوى الجودة.

في قمة الموسم ألا يصل إلى ٣٠٠ أو ٤٠٠ ريال؟

يمكن أن يقلّ حتى ١٥٠ ريالاً.

ما أفضل موسم للروبيان؟

في الشتاء؛ يعني: في شهري أكتوبر ونوفمبر، يكون عمره ٣ أو ٤ أشهر.

متى يبدأ تكوّن اليرقات؟

في الصيف تبدأ تتغذى وتنمو.

كم يصل عدد أنواع السمك في الخليج؟

هناك نحو ١٥٠ نوعاً من الأسماك، وكلّ الأسماك تأخذ شكلاً وميزةً، وتعيش في بيئة محددة، ولا يمكن لنوع أن ينتقل من بيئته إلى بيئة أخرى؛ فالصافي يعيش في منطقة عشبية، بينما القين والببغاء يعيشان في منطقة مرجانية، ويعيش سمك الفتح في المنطقة الرملية، وكذلك القرقفان الذي يدسّ نفسه في الرمل عند الإحساس بالخطر، ويمكن صيده بسهولة، وكذلك الحاسون، بينما يمشي الحاقول فوق الماء، وهذا لحمته بيضاء، وعظامه كلها زرقاء. أما اللخمة، ففيها شوكة سامة قد تسبّب الشلل إذا انغرست في جسم الإنسان، وسمكة الراي لها شكل جميل، وتصدر صوتاً قريباً من صوت الدجاج. ويمتاز السمك عماد بزيوته، وهو لذيذ الطعم، وخيل البحر من الأسماك



النادرة في مياه الخليج، ويوجد عادةً في بحر العرب على السواحل العمانية. أما العنفوز أو الأسماك الملائكية، فيوجد منها ١٣ نوعاً من الأسماك في الخليج، وهي جيدة للشيّ، وما يُزهد فيه منها يستخدم طعماً للأسماك الأخرى.

هل السمك وجبة يومية في القطيف؟

أنا بالنسبة إليّ يومية، وهناك من يتناول (يوم بعد يوم).

ماذا عن مردوده على الصحة؟

ممتاز جداً، وقد ذكره الله في القرآن الكريم؛ فهو من اللحوم البيضاء.

ماذا عن الأسماك المبردة؟

من المُفضّل أن يُشترى السمك طازجاً؛ فهو أكثر فائدة، ويحتفظ بقيمته الغذائية.

كيف يمكن معرفة السمك الطازج؟

يمكن معرفة ذلك بسهولة من خلال الخياشيم؛ فإذا كانت حمراء؛ أي: بها آثار دم، فذلك يعني أن السمك طازج، ولم يمضِ على صيده غير يوم أو اثنين.

روبيان القطيف: ثقافة لا وجبة!

سوق الروبيان بالقطيف عالم يضجّ بالأسرار، ولا يفصح إلا عن قليل منها لمن يحاول الاستكشاف، وتمثّل رحلة البحث عن هذه الأسرار متعةً في حدّ ذاتها، ومصدر المتعة الأول هو الإنسان، الذي حين تتعامل معه من قرب تجد فيه البساطة والتلقائية.



وقد تعاملنا في هذا الاستطلاع مع عناصر السوق من بائعين ومشترين ودلالين ووزّانين وأطفال، وكان الرضا هو القاسم المشترك بينهم؛ فجميعهم راضون بما قسم الله لهم من رزق. وكانت البداية بمأدبة غداء دسمة تناولنا فيها أنواعاً من الروبيان، تمّ طهوها بطرائق مختلفة؛ لندرك من الوهلة الأولى أن الروبيان أكبر من أن يكون وجبةً عابرةً، وإنما هو ثقافة متجذّرة، بما له من أبعاد في حياة أهل القطيف.

عندما تدخل السوق تصافح أذنيك أصوات مختلفة ومختلطة، ولن تستبين الأمر ما لم تتعمق في الدخول، وتصل إلى حيث مصادر الصوت، وتصبح جزءاً من اللعبة؛ ففي المزاد الذي يتفنّن المنادي فيه في وصف البضاعة والسعر المقترح يشعر الجميع أنهم جزء مما يجري، حتى لو كان بالاستماع أو التعليق أو الاستفسار.

وقبل الخوض في غمار السوق كانت البداية من سفرة الروبيان (المُعتبرة).

تقشير الروبيان





تصنيف السمك

أحمد المرهون (أبو زكي): الصيد الآن أسهل والرزق أقلّ

كان مضيفنا الأستاذ أحمد المرهون (أبو زكي) هدفنا الأول في هذا الاستطلاع، وقال: أنا أعيش في الرياض، وأجد أن سعر الروبيان فيها مرتفع كثيراً عما في القطيف، كما أن الروبيان في القطيف طازج، ويكون آتياً الآن من البحر، بينما في الرياض تأخذه من المبردات؛ وهذا ما يجعل هناك فارقاً كبيراً في الطعم.

ومن طرائق الطهي المحببة الشيّ، ونطلق عليه البروستد. أما الطريقة التقليدية المفضلة للأغلبية، فهي التي تتم بطبخ الروبيان بالصلصة؛ ليؤكل مع الأرز، مع بعض البهارات.

أما البحر في القطيف، فيعني الهدوء، وهو مرتبط بالرزق؛ إذ يعمل كثيرون في الصيد، وأما أنا فكنت أصطاد السمك بالسنارة والشباك. والفارق كبير بين صيد الروبيان في الماضي والحاضر؛ ففي الماضي كان الصيد عمليةً شاقةً بالمراكب التقليدية، أما الآن فيتم بالطراد وبمراكب حديثة مجهزة، ومع ذلك أرى أن الصيد في حدّ ذاته عملية شاقة تتطلب جهداً كبيراً وصبراً. وأشعر أن البحر كان كبيراً، وخيره كثيراً، لكن عمليات الردم ضيّقت مساحة البحر، وقلّلت كميات الأسماك، والروبيان أحدها.

فاضل الفرج: لا تخلو الثلاجة من الروبيان

وتوجّهنا إلى استطلاع رأي الأستاذ فاضل الفرج، الذي كان أحد المرحّبين بنا، وقال: إن عمليات ردم مساحات شاسعة من ساحل القطيف، واقتلاع أشجار المنجروف (القرم)، أدّيا إلى تناقص الروبيان؛ لأن تلك الأشجار تعدّ الحاضن البيئي للروبيان، مع الطينة البيضاء، وهو ما أثّر في مصدر رزق كثير من الصيادين. وأوضح أن أحجام الروبيان تختلف من بلد إلى آخر، مشيراً إلى أن الروبيان الكويتي والإيراني أكبر حجماً من الروبيان السعودي، لكن الأخير أحلى مذاقاً. وقد حدّدت السلطات مواصفات خاصة بشباك الصيد؛ حتى لا يتم اصطياد الروبيان الصغير، وتكون الشبكة ردفاً واحداً، وأيّ مخالفة تتم المحاسبة عليها. وأعتمد في الحصول على الروبيان الطازج على أنسبائي الصيادين، وأطلب صيد اليوم، وهو أكثر شيء مضمون بالنسبة إليّ. أما في السوق، فيمكن الاحتيال على المشتري،

وإيهامه بأن الروبيان طازج، وهو لا يكون كذلك.

وعن لون الروبيان المفضّل، قال: هناك روبيان أبيض اللون، وآخر أحمر، وتختلف أذواق الناس؛ فهناك من يفضّل الأبيض، وآخرون يحبّذون الأحمر، وهذا اللون تبعاً للتربة التي يعيش فيها الروبيان؛ فهو يكتسب لونه من تربته، وعموماً الأغلبية يفضّلون الأبيض. ونحن نعتمد على التوقيت؛ أعني: موعد وصول الصيادين من البحر، وهو غالباً بين السابعة والسابعة والنصف مساءً.

وعن سؤال حول كم مرة في الشهر يكون في البيت القطيفي روبيان، أجاب بلا تردّد: كلّ يوم، ولا يمكن أن تخلو ثلاجة قطيفي من الروبيان. وفي العادة يفضّل الناس شراء كمية من الروبيان،

بسؤاله عن سبب تركيزه في الجامبو؛ أي: الروبيان الكبير الحجم، فأجاب بأن سعره قليل. وعندما سألناه عن كمية كانت أمامه أجاب بأنها ١٤ كيلوجراماً، وعن سعرها قال: ١٨٠٠ ريال.

سألناه: عامة الناس يحبّون الجامبو أم النوع الأصغر؟ فقال: الأصغر هو المحبّب، والجامبو يكون عادةً للمطاعم. سألناه: هل أنت تتلقى طلبات من المطاعم يومياً أم الحكاية بالبركة؟ فقال: هذه طلبات من مطاعم في الرياض.

وعن نوع مشتري الروبيان، أوضح ميرزا أن الأجانب أكثر إقبالاً على الروبيان من السعوديين، كما أوضح أنه يتبع مؤسسةً، وأن الدلال يحرّج على بضاعته. وعن طبيعة العاملين في السوق، قال: «العمالة واجدة هنا؛ فالمسكين اللي حالته

في الماضي كان الاقتصاد البحري مزدهراً، وكان المواطن الخليجي هو الذي يعمل في البحر، بينما الآن العمالة الوافدة هي التي تعمل

وحفظه في الثلاجة؛ توفيراً للوقت الذي يمكن بذله للحصول على الروبيان الطازج يومياً، خصوصاً ونحن في قرية تبعد من السوق بنحو خمسة كيلومترات، كما أن السعر الإجمالي أرخص؛ فالمن، وهو يقدّر بنحو ١٨ كيلوجراماً، يمكن أن يراوح سعره بين ٢٠٠ و٢٥٠ ريالاً، بينما الكيلو الواحد يراوح بين ٢٠ و٢٥ ريالاً، وقد يقفز أحياناً إلى ٤٠ ريالاً.

والروبيان فيه قشران؛ أحدهما من فوق، والآخر من تحت، فإذا نزعت القشر العلوي يظلّ الروبيان طازجاً وهو في البراد، ويمكن الاحتفاظ به شهراً كاملاً.

حسين ميرزا: الزبون يفضّل الصغير.. والمطاعم تحبّذ الجامبو

وفي سوق القطيف، كان السؤال الملحّ: من أين نبدأ؟ فاخترنا البائع حسين ميرزا الحسين، الذي بدا من مظهره خبيراً، وبدأنا



وزّان.. أحد أبرز وجوه سوق الروبيان

ضعيفة يجي يشتغل هنا». وسألناه عن وضعه، فقال: إنه يأخذ راتباً من المؤسسة التي يتبعها، وعندما قلنا له: ما شاء الله، البقشيش كثير، قال: لا نأخذ (بقشيش)، والراتب يراوح بين ثلاثة آلاف وأربعة آلاف ريال.

وسألناه: إذا سألتك عن الروبيان الطازج فهل ستدلّني بأمانة؟ فقال مبتسماً: طبعاً، شيء أكيد.. يعني بغشّك، حرام، أكيد سأدلّك، وأقول: هذا مصيود أمس، وهذا مصيود اليوم. سألناه: هل هذا الصيد طازج؛ أعني: حق اليوم؟ أجاب: لا؛ لأنه بعد الصيد تغيب المراكب في البحر ٣ أيام أو ٧ أيام أو يومين.

سألناه: كم يوم تتوقع مضى على هذا الروبيان الذي أمامك؟ فقال: هذا يمكن صار له ثلاثة أيام.

سألناه: من أيّ منطقة تمّ الصيد؟ فقال: ممكن تاروت، أو الخبر، أو رأس تنورة، أو غيرها.

سألناه: لماذا يُرمى الروبيان هكذا على الأرض؟ فقال: هذا هو عهدنا منذ عرفنا السوق، والروبيان أصله يتقشر، ولا توجد طريقة فضلى. وعندما سألناه: عن عدد المؤسسات العاملة في السوق، قال: إنها ٣ مؤسسات، وعن عدد العاملين في المؤسسة التي ينتمي إليها، قال: إنهم نحو ٢٠ عاملاً. وأضاف: عدد السعوديين في السوق أكثر من ٥٠ عاملاً، ونسبتهم معقولة بالنسبة إلى المقيمين.

رشيد قسم الله: لم أكن أعرف الروبيان

وكان اللقاء مع العامل السوداني رشيد قسم الله فاضل، وهو من مدينة المناقل، الذي أوضح أنه يعيش في الدمام منذ ١٢ سنة، بينما يعمل في سوق القطيف منذ ٦ سنوات. سألناه عما إذا كانت له سابق خبرة في التعامل مع الروبيان، فقال: إنه لم يكن لديه أيّ خبرة. وعن حجم ما يقوم بتحميله من الروبيان في اليوم، قال: إنه يراوح بين ٥٠ و٨٠ طناً في اليوم. وعن السعر قال: إنه يراوح بين ٣٠ و٤٠ ريالاً، لكن المن أرخص بكثير.

سألناه: هل تهدي أصدقاءك في المدن الأخرى الروبيان إذا ذهبت إليهم، فأجاب: أيوة أكيد.. نعم. وقال الرشيد: إنه أصبح خبيراً في الروبيان، وطريقة طهيه، وأصبح مُغرماً به، ونصح بأن يتم تحميل الروبيان في بانة (براد كبير) في حالة نقله من مكان إلى آخر بعيد، والبانة تتسع لنحو ٤٠ كيلوجراماً.

محمد الفايز: أشتري تموين سنة

والتقينا الأستاذ محمد الفايز، وهو موظف متقاعد، فدار معه هذا الحوار:

- من أيّ منطقة؟

الدمام.

- ما هدفك من هذه الجولة في السوق؟

جئت لأشتري روبياناً للبيت.

- تبدو خبيراً في الروبيان؟

خبرتي كبيرة في شراء الروبيان.

- هل التسوق في هذا السوق عادة؟

نعم، هو عادة سنوية؛ ففي كل عام أشتري كميةً من الروبيان في الموسم، وأقوم بحفظها.

- الأسعار الآن في السوق معقولة أم عالية؟

السوق يخضع للعرض والطلب، وكلما زاد المعروض من الروبيان قلّ السعر، والعكس صحيح.

- هل هذه أول مرة تشتري في رمضان؟

كنت أشتري قبل رمضان، لكن الموسم جاء هذا العام في رمضان.

- هل تحاول أن تعرف الأسعار قبل أن تنزل السوق؟

نعم، لا بد من أن أعرف سعر السوق قبل الحضور.

- هل هناك فارق في سعر الروبيان بين القطيف والدمام؟

فارق واجد (كبير) بين القطيف والدمام، فرق السماء من الأرض.

- ما أكثر شيء تتخذ بناءً عليه قرار الشراء: اللون، أم الحجم؟

طبعاً هناك عدة عوامل، منها: اللون، والحجم، والملمس؛ فالروبيان اللين (ما يصلح)، لازم يكون أجمد (شوية)، و(ده بيكون فرش fresh)، و(لازم ما يكون رؤوسها طالعة).

- ما الحجم المفضّل لديك؟

الوسط.

- ألا تفضّل الجامبو؟

لا، الجامبو حسب الطبخ، وهو مناسب للبروستد.

- ما الخطوة التالية للشراء؟

الخطوة التالية في البيت يتم التخلص من الرأس، ووضع الروبيان في ألومنيوم بعد تغطيته بكرتونة؛ حتى يظلّ الروبيان طازجاً.

- ما طريقة الطهي المفضّلة؟

هناك الشيّ، والقلي، والبروستد، وغير ذلك.

- هل تعاود التسوق؟

لا، أنا في العادة أتسوق مرةً واحدةً، وأشتري ما يكفيني لعام، وهو نحو ٦٤ كيلوجراماً.

- بالنسبة إليكم يا أهل الشرقية هذا الموسم جميل؟

الروبيان له موسم محدد، وهو يبدأ تقريباً من ٨/١٥، والخبير لا يأتي قبل الموسم؛ لأن المعروض يكون قليلاً، والسعر عالياً، كما أن ختام الموسم يكون الوضع نفسه، أما خلال ذروة السوق فيكون المعروض كثيراً، والسعر قليلاً.

- هل تجد متعةً في التسوق؟

السوق فيه أشياء ممتعة، وكلّ موسم له شيء مميّز، وموسم الروبيان فيه متعة في الشراء، والتجوال في السوق، ومعرفة المعروض، واتخاذ القرار، وأنا دائماً أحب المجيء قبل بدء السوق.

- متى جئت اليوم؟

أنا فاطر هنا (علشان) السوق.

- هل عندك تجّار معينون، أو تشتري بالبركة؟

لا بالبركة، ويساعدك عمّال مثل هذا الطفل الصغير، الذي ينقل الروبيان إلى السيارة ليأخذ المقسوم.

أحمد السلمان: أخي تشجعني.. والأمور (ماشية)

- منذ متى تعمل في السوق؟

لي ٤ سنوات.

- كيف يبدأ يومك؟

يبدأ يومي بعد الإفطار، وأداء صلاة المغرب، وساعات العمل حسب حركة السوق، مرة زحام، وأخرى هدوء. واليوم من أيام الهدوء؛ لأننا في ليلة القدر، وغداً أتوقع حركة شديدة، والسمك سيكون طازجاً. وأوضح السلمان أنه من الجارودية في القطيف، ومع ذلك فهو قليل الخبرة بالروبيان، وأشار إلى أن الروبيان يُعرف من شكله ولونه؛ فهو يكون أبيض وأصفر، وهناك الأسمراني الحلو. أما الروبيان غير الجيد، فيكون شديد البياض، وعند الضغط عليه (يقبع)، وهذا يعني أنه غير طازج.

سوق القطيف يزوّد مناطق المملكة بالأسماك؛ فهو من أكبر الأسواق الخاصة بالأسماك في الخليج



وأضاف أن السوق في الماضي كان أكثر حركةً، وكان الإنتاج وفيراً، والأسعار أرخص. وقال: إن أخاه يعمل في السوق منذ عشر سنوات، وهو من شجّعه على خوض تجربة العمل في سوق الروبيان. وأضاف أن الأمور (ماشية)، ونحمد الله، وذكر أن دخله يتوقف على حالة السوق؛ فكلما كانت الحركة نشطة كان الدخل أعلى. وعن عدد السعوديين العاملين معه في المؤسسة قال: إنهم ٥٧ عاملاً، وأغلبهم من القطيف.

ثم كان الحديث مع أحد أقدم العاملين في السوق، الذي قال: إنه يعمل في السوق منذ ٣٣ سنة. وعن الفارق بين الماضي والحاضر قال: في الماضي لم تكن هناك عمالة أجنبية؛ فالنواخذة الذين يصطادون السمك كانوا سعوديين، وكان الذين يبيعون ويترزّقون سعوديين أيضاً. أما الآن، فالعمالة الأجنبية هي الغالبة، خصوصاً الهندية، ولو توقف هؤلاء العمال لتوقفت الحركة في السوق. أما كمية الروبيان، فهي في تناقص مستمر، والكمية التي تبيعها المؤسسة التي يعمل فيها يومياً تراوح بين ٢٠ و٣٠ طناً يومياً، والروبيان يأتي من عمان وقطر وجازان، إضافةً إلى القطيف.

وعن مدى إقبال الشباب على العمل في السوق أوضح أن كثيرين من الباعة من حملة الشهادات الجامعية؛ لقلة فرصة العمل أمامهم. وأوضح أن أسراً كثيرة تتوارث العمل في سوق الروبيان، لكنهم لا يدخلون البحر كما كان الحال في الماضي.

وعن الروبيان الأفضل قال بلا تردّد: حق البلد؛ لذا أوصي من يريد شراء الروبيان أن يأخذ القطيفي؛ فهو الأجود. أما روبيان عمان، فهو سمين، ولا يصلح إلا للبروستد. وقال: إنه يفضّل الروبيان (الوسطية)؛ أي: بالأرز، وهي مفضّلة في الغداء، بينما البروستد يصلح للعشاء. وعن أعلى سعر لكيلو الروبيان قال: بيع أمس المن بألف ريال، وهو سعر عالٍ، بينما النوع نفسه يُباع اليوم بنحو ٦٠٠ ريال؛ لأن السعر يعتمد على مدى التنافسية في السوق؛ فكلما كان هناك متنافسون زاد السعر.

الحجي: أتمنى لابني وظيفة حكومية

محمد الحجي أيضاً من أبناء الجارودية، وهو يعمل وزّاناً، قال: أعمل في السوق منذ ١٣ عاماً، ومهمتي وزن الروبيان بعد إنزال أصحاب السفن والطرادات الحمولة في البسطة، ثم وضع الروبيان في الحاويات، وكلّ حاوية (بانة) زنتها منان، وبعدها نقوم بصفّ الحاويات؛ ليقوم مسؤول البيع ببيعه إلى التجار، الذين بدورهم يبيعونه إلى الزبون.

وأوضح الحجي أنه راضٍ بعمله؛ فهو يوفّر له ولأسرته مصدر الرزق الحلال الذي يكفي متطلبات الحياة الضرورية، ومع ذلك فهو حريص على أن يتعلّم ابنه ليكون أفضل منه؛ لأن تقلبات السوق غير مضمونة، والراتب أكثر أماناً، خصوصاً في القطاع الحكومي حيث الاستقرار الوظيفي، وعدم الخضوع لمزاجية الأشخاص كما في القطاع الخاص.

الفردان يحذّر

ولم تكن قلة العاملين في الصيد من المواطنين هي المشكلة الوحيدة التي تواجه الصيادين، بل إن رمي الأسماك الميتة في البحر يدل على غياب الوعي، وكان في حدّ ذاته من المشكلات التي استحقّت تحذير كبير الصيادين رضا حسن الفردان، الذي أشار إلى أن الروبيان الحيّ ينفر من السمك الميت، وهو سبب رئيس لهروب كميات كبيرة منه من القطيف.

وللأطفال حضورهم

يمثّل الأطفال عنصراً رئيساً في السوق؛ فهم يزاحمون الكبار، ولا يخلون من الشقاوة، التي تبدو مزعجةً لبعض البائعين والزبائن، وتبدو لبعضهم الآخر مصدر حيوية وكسر لرتابة الحركة في السوق. وعلى الرغم من المنافسة بينهم إلا أن الصداقة أساس العلاقة بينهم؛ فهم يأتون معاً في العادة، ويغادرون السوق في الوقت نفسه، ويعمل أغلبهم في تقشير الروبيان، أو حمله إلى السيارات.

وأعرب من قابلناهم من الأطفال عن أمنياتهم باستكمال دراستهم، وهم فخورون بعملهم الذي يلبّون بدخله بعض احتياجاتهم، ويتفاوت ذلك الدخل بين ٣٠ و١٠٠ ريال يومياً، وإن كان محمد قد عبّر عن انزعاجه من استيلاء أمه على جزء من دخله بحجة حفظه له، مع أنه متأكد أنها لن تفعل. أما ياسر، فلا يخبر أهله بكامل المبلغ الذي يُدخله في اليوم؛ حتى يستطيع شراء (دباب) مع نهاية الإجازة، وادخار المبلغ الذي يأمل أن يضيف عليه والده لكي يستطيع تحقيق أمنيته، مع أن والدته تعارض هذه الرغبة خوفاً عليه.



الأمير خالد الفيصل يفتتح الدورة الخامسة من سوق عكاظ



نيابةً عن خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز -حفظه الله- رعى الأمير خالد الفيصل بن عبدالعزيز -أمير منطقة مكة المكرمة، رئيس اللجنة الإشرافية العليا لسوق عكاظ- في ٢٣ شوال الماضي/ ٢١ سبتمبر ٢٠١١م حفل افتتاح فعاليات سوق عكاظ الثقافي الخامس تحت شعار (سوق عكاظ.. ملتقى الحياة).

وقام سموه ومرافقوه بجولة في (جادة عكاظ)، التي تجاوز طولها الكيلومتر، امتداداً من قبة النابغة حتى المسرح، واطّلع سموه على المواقع على جانبي الجادة من محالّ ومعارض وأركان للحرف اليدوية التقليدية، واستمع إلى شرح عن الأعمال والبرامج والفعاليات التي تنفّذ في الجادة من أعمال مسرحية (درامية) تاريخية متنوعة (مسرح الشارع)، تمثّل جوانب الحياة والأنشطة التي كانت تتمّ في سوق عكاظ قديماً، وتؤدّى باللغة العربية الفصحى، إضافةً إلى إلقاء الشعر العربي الفصيح، وبخاصة المعلقات، وإلقاء الخطب، التي بُنيت عليها شهرة سوق عكاظ، ويؤديها ممثّلون محترفون وهواة على طول الجادة، من بينهم عدد من أبناء الدول العربية.

وجاءت جوائز سوق عكاظ هذا العام النحو الآتي: نال جائزة (الخط العربي) السوري محمد فاروق حداد، والمصري عبدالرحمن الشاهر. وحصل على جائزة (التصوير الضوئي) عن فئة ١٨ عاماً فأعلى السعودي رائد سفر البقمي، وفاز بفئة أقلّ من ١٨ عاماً المصري جلال رفعت المسري، وكان موضوع المسابقة هذا العام الخيل العربية الأصيلة بوصفها أصلاً لكل الجياد الأصيلة في العالم وأجودها. ونال جائزة (لوحة وقصيدة) الفنان التشكيلي السوداني عوض أبو صلاح. وحصل على جائزة (الإبداع والتميّز العلمي)، وهي المستحدثة للمرة الأولى هذا العام، الدكتور أحمد صالح العمودي من جامعة الملك عبدالعزيز، والبروفيسور عبدالعظيم فاروق جاد.

واختُتمت الفعاليات في يوم الأربعاء ٣٠ شوال الماضي/ ٢٨ سبتمبر ٢٠١١م، بحضور معالي محافظ الطائف فهد بن معمر، الذي قام بتوزيع جائزة الفنون الشعبية، ومقدارها ١٠٠ ألف ريال، على فرقة الفنون الشعبية بمحافظة الكامل. كما سلّم جوائز الحرفيين والحرفيات والابتكارات والصناعات اليدوية، ومقدارها ١٥٠ ألف ريال، إلى الخمسة الأوائل من أصل ٦٧ فائزاً وفائزة بالجائزة، الذين ستكون لهم مشاركات في عدد من المهرجانات، بعدها كرّم الجهات الراعية والمشاركة في المهرجان.

بعد تحولها لاستقبال الأعمال إلكترونياً

جائزة الصحافة العربية تفتح باب الترشح

منى بوسمرة

أعلنت الأمانة العامة لجائزة الصحافة العربية في دبي اليوم عن فتح باب الترشيح أمام الصحفيين والصحفيات العرب للتنافس في الدورة الحادية عشرة لجائزة الصحافة العربية. وحدّدت الأمانة العامة للجائزة يوم ١٥ يناير ٢٠١٢م موعداً نهائياً لاستقبال طلبات الترشيح. ويأتي فتح باب الترشّح بعد أيام من إعلان الأمانة العامة جاهزيتها لاستقبال أعمال الصحفيين إلكترونياً عبر نافذتها على شبكة الإنترنت الدولية www.arabjournalismaward.ae.

وفي هذا الإطار قالت منى بوسمرة: «التحول الإلكتروني، وزخم الأحداث في الوطن العربي، من شأنهما أن يزيدا من أعداد الأعمال المترشحة؛ إذ إن إرسال الأعمال إلكترونياً عبر موقع الجائزة الإلكتروني سيلغي أيّ عوائق جغرافية من خلال تقنين الأعمال الورقية التقليدية، ويفتح آفاقاً جديدة أمام الجمهور الإلكتروني الشاب».

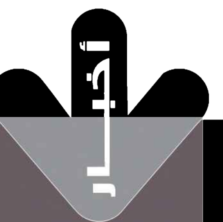


نوبل للسلام لثلاث نساء بينهن اليمنية توكّل كرمان

منحت الأكاديمية السويدية جائزة نوبل للسلام لعام ٢٠١١م لثلاث نساء، هنّ: الرئيسة الليبيرية إيلين جونسون سيرليف، وداعية السلام الليبيرية ليما غبوي، والكاتبة والصحفية والناشطة اليمنية توكّل كرمان، التي أصبحت أول عربية تفوز بهذه الجائزة.و

أوضحت لجنة الجائزة أن ذلك يأتي «تكريماً لهنّ على نضالهن السلمي لسلامة النساء، وحق المرأة في المشاركة في بناء السلام».

واليمنية كرمان ناشطة حقوقية بارزة في الحركة الاحتجاجية اليمنية، وقد أدّت دوراً رائداً في النضال من أجل حقوق الإنسان والديمقراطية والسلام في اليمن. وتنتمي كرمان إلى أسرة ريفية من منطقة بني عون مخلاف شرعب في محافظة تعز، وتعيش في صنعاء، ووالدها هو القانوني والسياسي المعروف عبدالسلام كرمان. وقد تخرّجت في جامعة العلوم والتكنولوجيا في صنعاء، وحصلت على بكالوريوس تجارة عام ١٩٩٩م، ثم نالت الماجستير في العلوم السياسية، ونالت دبلوم عام تربية من جامعة صنعاء، ودبلوم صحافة استقصائية من الولايات المتحدة الأمريكية. عُرفت كرمان بمواقفها الشجاعة ضد انتهاكات حقوق الإنسان والفساد المالي والإداري، ومطالبتها الصارمة بالإصلاحات السياسية في بلدها، وكذلك بعملية الإصلاح والتجديد الديني، وكانت في طليعة الثوار الذين طالبوا بإسقاط نظام علي عبدالله صالح بدعوة مبكرة بدأت في عام ٢٠٠٧م بمقال نشرته صحيفة (الثوري)، وموقع (مأرب برس)، دعت فيه كرمان إلى إسقاط النظام اليمني بشكل صريح.



في مركز الملك فيصل .. تجربة مؤسسة تزكية الإندونيسية في دعم الفقراء



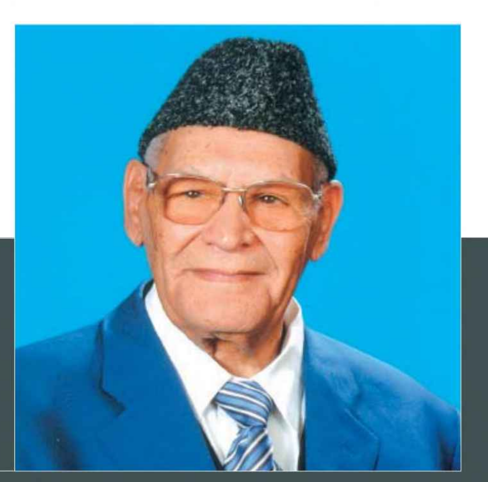
أقام مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ضمن نشاطه الثقافي لهذا العام محاضرةً يوم ٢١ شوال ١٤٣٢هـ/ ١٩ سبتمبر ٢٠١١م بقاعة المحاضرات الكبرى بمؤسسة الملك فيصل الخيرية، بعنوان: (تجربة الاقتصاد الإسلامي في إندونيسيا)، قدّمها الدكتور محمد الشافعي أنطونيو رئيس جامعة تزكية في إندونيسيا.

وأوضح الشافعي أنه من خلال دارسته اكتشف أن أهم مشكلات الأمة هي الفقر، وضعف الموارد البشرية، وعدم الوحدة، وقال: إن الفقر أعظم هذه المشكلات؛ لأن الفقير لا يستطيع الذهاب إلى المدرسة، فيصبح جاهلاً، وإذا جهل سيكون محدود الدخل، ومحدود الفكر، فيقع بذلك في دائرتي الفقر والاختلاف. وقال: إنه بعد حصوله على الدكتوراه من أستراليا حاول أن يوظّف الاقتصاد الإسلامي، ويطبّقه على أرض الواقع في بلد يعدّ أكبر دولة إسلامية من حيث السكان، وهي إندونيسيا؛ إذ يبلغ عددهم ٢٣٧ مليون نسمة، كما أن به نمواً طيباً في الاقتصاد من خلال المصارف والصكوك الإسلامية منذ السبعينيات، مشيراً إلى أن البنك الإسلامي في جدة له دور كبير في نهضة هذا البلد.

وبعد هذه المقدمة عن الاقتصاد الإسلامي في إندونيسيا تناول الشافعي تجربة مؤسسة تزكية التي أنشاها لتقديم التمويل، ومساعدة الفقراء. وذكر أوجه الدعم الذي تقدّمه المؤسسة، المتمثلة في التدريب والتأهيل في المجالات الاقتصادية المختلفة؛ إذ أسهمت المؤسسة في أسلمة معاملات ١٤ بنكاً، و٧ شركات تأمين، وبلغ عدد المتدربين أكثر من ١٢ ألفاً، وحصلت تزكية على ترخيص لإنشاء جامعة تضم الآن ١٢٠٠ طالب، وهي متكاملة المرافق وفق أحدث النظم. ونبّه إلى خطورة الفقر، وتأثيره في تناقص نسبة المسلمين في إندونيسيا؛ فقد كانوا ٩٥٪ عندما كان في المرحلة الابتدائية، وبلغوا اليوم ٨٦٪؛ لذلك كان اهتمامه بتمويل المشروعات الصغيرة من خلال مؤسسة تزكية، وكانت البداية بإحدى القرى.

الشاعر السويدي توماس ترانسترومر ينال جائزة نوبل للآداب

منحت جائزة نوبل للآداب عام ٢٠١١م إلى الشاعر السويدي توماس ترانسترومر، البالغ ثمانين عاماً؛ تقديراً «لبساطة أسلوبه الذي يشرع الباب على الواقع، ويرتقي بالإنسان». وأوضحت الأكاديمية السويدية أن ترانسترومر المولود في ٥ إبريل ١٩٣١م حاز الجائزة «لأنه من خلال صور مركّزة وواضحة يعطينا منفذاً جديداً على الواقع». وأضافت الأكاديمية: «أغلبية دواوين ترانسترومر الشعرية تتسم بالإيجاز والوضوح والاستعارات المعبّرة». يُذكر أن هذه هي المرة الأولى التي يحصل فيها على الجائزة مؤلف من السويد منذ أربعين عاماً.



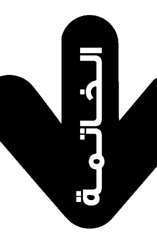


وفاة العالم اللغوي تمام حسان

توفي الدكتور تمام حسان -أستاذ الدراسات اللغوية- عن عمر ناهز التسعين؛ إذ ولد في ٢٧ يناير عام ١٩١٨م. وكان تمام عميداً أسبق لكلية دار العلوم، ونال جائزة الملك فيصل العالمية في اللغة العربية والآداب سنة ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٦م.

والراحل عالم نحوي عربي، وصاحب كتاب (اللغة العربية: معناها ومبناها)، الذي وضع فيه نظرية خالفت أفكار النحوي الكبير سيبويه، وهو أول من استنبط موازين التنغيم وقواعد النبر في اللغة العربية، وقد أنجز ذلك في أثناء عمله في الماجستير (عن لهجة الكرنك)، والدكتوراه (عن اللهجة العدنية) من جامعة لندن، وشرحه في كتابه (مناهج البحث في اللغة) عام ١٩٥٥م.

وعقب عودته من بعثته العلمية عُين تمام مدرساً في كلية دار العلوم، كما انتدب مستشاراً ثقافياً للجمهورية العربية المتحدة في العاصمة النيجيرية لاجوس عام ١٩٦١م. وحين عاد إلى مصر عام ١٩٦٥م شغل منصبي رئيس القسم ووكيل الكلية قبل أن يتولى عمادتها عام ١٩٧٢م.



هل السامية اختراق صهيوني للفكر والعقل الغربيين؟

علي صالح الحجري
صنعاء - اليمن

من أهم ما يمكن أن يرويه التاريخ من قضايا وخفايا وأسرار بشرية أبدعت فكراً وسلوكاً وممارسة، خصوصاً في جانبها الإيجابي، هي تلك التي لها علاقة بأحداث تاريخية لا شك في أن أساساتها الفكرية تمسّ العقل والمنطق بما تفرضه من مفردات حدّية وحادة باتجاه الممارسة الفعلية للحياة، في ظلّ أنماط بشرية اتجاهية قد تكون إيجابية، وقد تكون سلبية؛ كتلك التي تحمل النعرة العنصرية بما تظنّه من استفادة حسية وغير حسية قد تطيل في مداها الزمني والتأثيري من خلال بثّ الاعتقاد بإعطائها الأحقية في الترويج الذاتي؛ لتخضع به عقولاً تدوس عليها بما تمكّنها من اعتقادات خاطئة تؤمن بها، وتتصرف على أساسها، توردها ربما مورد الهلاك غير الحسي العقيدي الإرثي والثقافي، وربما الحسي، كما تشهد عليها الأحداث الدولية على مرّ التاريخ البشري القديم والمعاصر بما تمثّله تصرّفاتها وسلوكياتها وممارستها من تغييب للعقل والمنطق والعرف والتقاليد والقانون بكل مفرداته الإنسانية خاصةً، وحتى باتجاه الجوانب غير الإنسانية.

من الأمثلة الماثلة أمام العالم تلك المرتبطة بمفهوم السامية كتمييز عرقي أممي لا شك في حقيقته لو كانت الصورة مكتملةً من حيث شمولية حقيقة تعميم تعبيرها السليم عمّن تحيط الكلمة به، وما تشتمل عليه من أجناس. لقد أصبحت هناك أمم تتناقل وتتوارث المفهوم كابراً عن كابر لا يمكن تجاهلها (أي: تجاهل تلك الأمم) إلا ممّن كان ويكون عرضةً للتجهيل الفكري الممارسي في بُعده التاريخي، إما - أولاً - لعدم اطّلاعه على حقائق التاريخ البشري، وإما - ثانياً - لغبائه الشديد تجاه مصوغات حياتية بشرية تحتّم تمكّنه من استيعاب عدم الابتكار عن فرضية إمكانية حقدها وسحتيتها (أي: حقد بعض أنماط بشرية وسحتيتها) تجاه آخرين، وإما - ثالثاً - تسليمه (أي: تسليم أولئك الجهلاء) إلى الآخر؛ ليعبث كيفما يشاء بمسوغات مصطنعة مبتذلة غير واقعية لا تحمل صفات الصدقية على الإطلاق، مع أن علاقتها العقيدية القوية تحتّم عدم تجاوزها، أو عدم الافتراء عليها؛ لما تمثّله من انحراف خطير عن المسيرة الدنيوية السليمة الموجّه بها خالق الكون والبشرية.

فهل ضلّ الغرب أحد أولئك الثلاثة السابقة، أو بعضها، أو كلها؛ حتى تسيطر عليه تلك الفكرة التي فحواها أن السامية منسوبة فقط إلى الجنس حامل الهوية الدينية اليهودية، مع معرفتهم وعلمهم بما لا يعلق به أدنى شك، أو ظنّ، أو حتى تساؤل عن وجود ذلك الارتباط المتين بين الصهيونية بوصفها مفهوماً سياسياً استعمارياً عنصرياً والديانة اليهودية من حيث كونها عقيدةً مستغلةً من المؤمنين بها، المحرّفين لها، تحاول تحقيق أهداف رأوها ويرونها، وبخاصة حديثاً، حلماً يهودياً له من المشيئة الإلهية ما يؤهّله ليكون أهلاً لتحقيقه، وهو افتراء بغيض لا يستند إلى ما يدّعونه من توجيهات إلهية.

لحسن الحظ أن تلك الافتراءات والدعاوى غير الصحيحة بدأت حقيقتها تتّضح للغرب والعالم أجمع يوماً بعد يوم، خصوصاً بعد أن اتّضحت معالم السلوك والممارسات الصهيونية الاحتلالية الاستعمارية، وما أدّت إليه من كوارث إنسانية وغير إنسانية، صبّت - وما زالت تصبّ - لتقع ليس فقط على رأس حامل الهوية

الدينية اليهودية، بل على الهويات القومية الأخرى: الأوربية، والأمريكية، وغيرهما.
أفرزت المفاهيم والتصرفات والسلوكيات والممارسات غير المسؤولة، ذات الطابع العنصري والأبعاد العقيدية المحرّفة، متاهات بشرية تشكّلت في صور تناقضات مفاهيمية سلوكية، أرادت وتريد بقاء العالم في الصورة التقليدية لإنسان لا يبحث عن الجديد والحديث والتحديث، بل يحثّ على الجمود، ويعمل على النكران والجحود؛ لما قد يحدثه العمل الدؤوب الساعي إلى التطور والتحديث من نتائج مبهرة تنعش بها حياة الإنسانية بما تقدمه من نماذج وبيئات ومعطيات وحيثيات حياتية زاهية، تمثّل أساسات لسعي يؤدي إلى عطاءات ربانية لا نهائية الكمّ والكيف، تتولد عنها الروحانية الحيوية الحياتية، بل الأخروية، إذا ما اعترف الإنسان بفضل الخالق سبحانه وتعالى بأنها من عطاءاته للإنسانية جمعاء، وينتج منها استبعاد المفاهيم والممارسات العنصرية غير الإنسانية متمثّلةً أساساً في الفكر والممارسة الصهيونية.
الذي تمّ إشاعته على أنه يُعزى أو ينسب إلى اليهودية مفاهيم عقيدية غلّفتها مفاهيم السامية، واستغلتها الصهيونية لتسويغ ضغينة ضدّ من هم - أيضاً - ساميون معروفون؛ كالعرب سلالة إبراهيم من زوجته هاجر أم النبيّ إسماعيل عليه وعلى نبينا ورسولنا خاتم الأنبياء والرسل محمد بن عبدالله أفضل الصلاة والسلام، وهو نسب أو عزو لا يغدو أن يمثّل مغالطات أريد بها الاستفراد بعطاء الآخرين. والاهتمام الأممي لقضاء حاجات صهيونية مكتسبة من مفاهيم وسلوكيات هي تراكمية عاشها ويعايشها أبناء الصهيونية العالمية ذات المرجعية والعمق العنصريين غير المسوغين منطقياً باتجاهاته العدائية ضد من هم أهل للرفق بهم، والاهتمام الأخوي الإنساني بما يعنيه من عدم نكران أحقيتهم بالاهتمام ضمن مفهوم السامية الحقيقية المنسوبة إلى النبيّ إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم.
خُدع الأوربيون، ومعهم الأمريكيون، بتلك الصور المغلوطة، والتفسيرات المحرّفة، والفلسفات غير الصائبة المستغلة بإعلام مملوك في جوهره للصهيونية، ولو كانت في داخل حليّ من أثواب لها طابع بعض التفرقعات المسيحية المحرّفة أيضاً، بل المغلوطة بتداخلات مفاهيم عقيدية، وتفسيرات لها علاقة بالمضمون الإستراتيجي السياسي الاقتصادي - يا للأسف - المعبّأ بالمفاهيم والممارسات العنصرية البحتة غير المحايدة في تعاملها مع الواقع الإرشادي المطلوب دينياً وفقاً لما تقتضيه مصلحة البشرية كما تفندها المبادئ الدينية الصحيحة.
ولذلك ظلّ الجميع يدفع ثمن عدم تصدّيه لتلك المغالطات التاريخية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، والدينية، والحضارية، والتحضّرية، وغيرها.
لذلك، فإنه - كما يبدو - قد حان الوقت للتحرّر الغربي من تلك الظاهرة، والانتهاء من العمل ضمن المفاهيم والأسماء التي لها طابع عنصري؛ لما لها من انعكاسات أصبحت نتائجها معروفة عند الجميع بما أفرزته من ظلم، ثم أحقاد أفرزت بدورها نماذج مفاهيمية سلوكية ممارسية معادية أبهتت العالم أجمع، وما زالت تمثّل خطورةً ستكون بالغة التأثير في مستويات الإنجازات النهوضية المجتمعاتية وأداءاتها، وقد اتضح للجميع أن معالجتها (أي: معالجة تلك الأسباب المؤدية إلى تلك الخطورة) تبدأ بالعودة إلى الجذور، وهو ما يجب أن يكون؛ لكي يتفادى العالم تفريخ نماذج فردية جماعية مجتمعاتية همها الأول والأخير هو الانتقام، والبحث عن وسائل التدمير الذاتي والمجتمعي، بل العالمي، محبطةً بذلك مجهودات بشرية نهوضية مضنية تحققت عبر آلاف السنين، وهدفت في الأساس إلى التطور الحياتي الإنساني بما يعنيه من تأسيس حياة بشرية عالية المستوى المعيشي والتعليمي والصحي وغيرها.







جهاز «الفيصل»

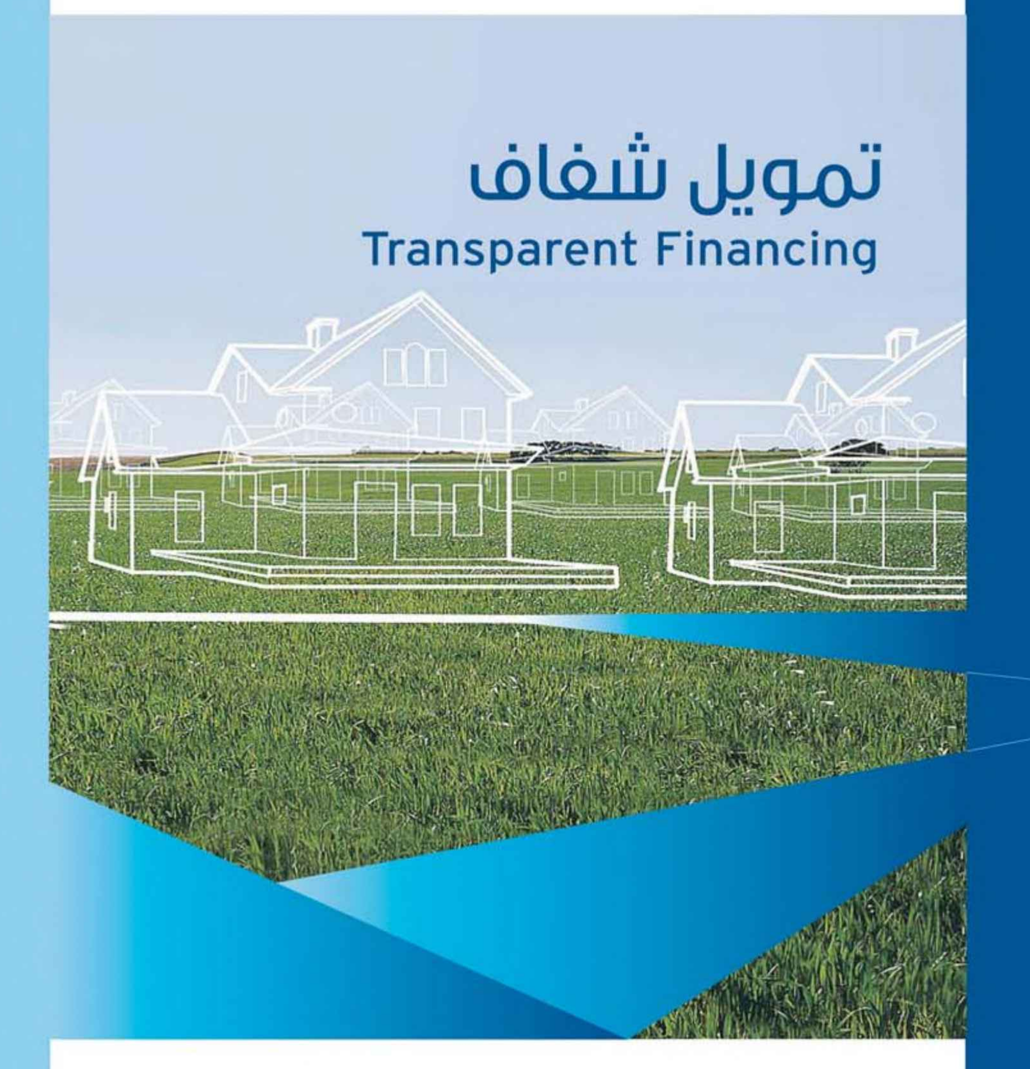
Wei T'o

للتعقيم بالتبريد

الأمثل للحفاظ على التراث المخطوط

سعى مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية إلى حماية التراث الإسلامي والإنساني مما يضرّ به من آفات طبيعية، فابتكر وسيلةً ناجعةً، وأكثر فعاليةً، وأقلّ تكلفةً، وأوفر للجهد، وآمن لأوعية التراث المخطوط، من خلال جهاز «الفيصل Wei T'o»، وهي طريقة التبريد الجافّ بأكثر من ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر؛ مما يقضي على جميع الحشرات والفطريات مرةً واحدةً بتعريضها فجأةً لدرجات برودة منخفضة جداً وجافة؛ فلا تستطيع هذه الآفات أن تتواكب مع هذا التغيّر السريع.





Home Finance Specialists اختصاصيو التمويل السكني

زوروا فروعنا أو ممثلينا و تمتعوا بعروضنا الخاصة:

Competitive Prices اسعار منافسة	Expat Financing تمويل للمقيمين
Transparent Financing تمويل شفاف	Innovative Solutions حلول مبتكره

الخبر	جدة	الرياض	800 244 2233
طريق القاعدة الجوية	جميل سكوير	طريق الملك عبدالله	الرقم المجاني

قدم طلبك اليوم

www.deutschegulf.com

